نـــــــور يسوع المسيح المســـــيـــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الغـ ـالب Σ Ω Φ

مجلة شهرية

Issue No: 209 عدد:

January 2025 شهر كانون الثاني

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Κωνσταμονίτου Αγίου Όρους

دير الرُّوم العامر كونستامونيتو جبل آثوس

أيقونة القديس ستيفانوس أوّل الشهداء
تقدمة من الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس
نهاية القرن الحادي عشر – بداية القرن الثاني عشر

عيد الدير المركزي: القديس ستيفانوس أوَّل الشهداء، ٢٧ كانون الأول شرقي، الواقع في ٩ كانون الثاني غربي

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة ميلاد ربِّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

٢٥ - ١٢ - ٢٠٢٣ ش ، الواقع في : ٧ - ١ - ٢٠٢٤ غ

«إِنَّنِي أُشاهِدُ سِرًّا غَرِيبًا بَاهِرًا، المَغارَةَ سَماءً وَالْعَذْراءَ عَرْشًا شاروبِيمِيًّا والمِذْوَدَ مَحَلًّا شَرِيفًا أُضْجِعَ فِيه المَسِيحُ الإِلَه غَيْرُ الْمَوْسوعِ فِي مَكانٍ، فَلْنُسبِحْهُ مُعَظِّمينَ.»

(ارمس الأودية التاسعة من قانون الميلاد)

حقًّا لقد رأتِ البشريَّةُ عندَ نهايةِ الأزمنةِ سِرًّا غريبًا باهرًا كما يقولُ مُرنِمُ الكنيسة، في عهدِ **أوكتافيوس أغسطس قيصر**، إذ عاينت تنازُلَ اللهِ جَليًّا في بيتَ لحمَ، لقد حقَّقَ **اللهُ** وعودَهُ **للأنبياءِ** إذْ «أرسلَ فداءً لشعبِه». وهٰذا الفداءُ هوَ: **ابنُ اللهِ الوحيدِ وكلمتُهُ المساوي للآبِ في الجوهرِ**. لهذا فإنَّ **الآبَ** سُرَّ بأنْ يتجَسَّدَ **الابنُ** **وأنْ يأخذَ جسدًا وصورةً بشريَّةً حيَّةً وعاقِلَةً** من **الرُّوحِ القُدُسِ** ومنَ **الدائمةِ البتوليَّةِ مريم**، كما أَعَدَّ مُسبَقًا وشاءَ وارتضى، ويقولُ الإنجيليُّ يوحنا: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو١ : ١٤)، «لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (فيلبي٢ : ٧) **من أجلنا**. ولقدْ وُلِدَ في الَمغارةِ مُتنَكِّرًا واقتَبلَ الفقرَ الأقصى، مولودًا في مغارةٍ، مُضْجَعًا في مِذْودٍ، مُدْرَجًا في الأقمطةِ وفي هذا الفقرِ ظَهرَ غِنى لاهوتِهِ مُتَلَأْلِئًا. لهذا فإنَّ السَّماءَ قدَّمتْ لهُ المجوسَ بواسِطةِ النَّجمِ كبَاكورةِ الأُممِ؛ (وسَابقي الكنيسةِ بحسبِ **القديسِ يوحنا الذهبيِّ الفمّ**. وملاكٌ مِنَ السَّماءِ أعلنَ مَولدَهُ للرُّعاةِ السَّاهرينَ، وجُمهورُ الملائكةِ بشَّرُوا بهِ منَ السَّماءِ بالتسبيحِ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي الناس الْمَسَرَّةُ» (لو ٢ : ١٤)، معلنينَ بأنَّ **مسَرَّةَ اللهِ** للبشرِ هي السَلامُ. هذا السَلامُ الإلهيُّ الذي يَفوقُ فَهْم العَقلِ يأتي إلى العالمِ **بكلمةِ اللهِ المتجسدِ، يسوعَ المسيح**؛ إنَّهُ «**رسولُ الرأيِ العظيمِ ورئيسُ السلامِ وشَمسُ البِرِّ**».

إنَّ الكَنيسةَ مُؤَسَّسَةٌ على هذا الاعِلانِ الاهيِّ بشهادةِ شهودِ العيونِ والآذانِ في الكتبِ المقدسةِ، تُؤمنُ وتُبَشِّرُ أعَضاءَها في العَالمِ أَجْمع، بأنَّ **المسيحَ** هوَ الـمُخَلِّصُ وفادي **الجنسِ البشريِّ**، **لا كإنسانٍ مُؤَلَّهٍ بلْ كإلهٍ** مُتأنِّسٍ، لأجلِ الخلاصِ أي تَأْلِيهِ الإنسانِ (بالنعمة). لقد انحَدرَ **اللهُ** إلى الأرضِ ليرفعَ الإنسانَ إلى السَّماءِ. «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (فيلبي ٣ : ٢٠) بحسبِ **بولس الرسول** الذي ٱختُطِفَ إلى السَّماواتِ. إنَّ آباءَ الكنيسةِ يَقولونَ دائمًا وبدونِ توقُّفٍ بأنَّهُ تأنَّسَ **الإلٰهُ** لكيْ يتألَّهَ الإنسانُ (بالنعمة). وأمَّا **القديسُ غريغوريوس بالاماس** يُكرِزُ بأنَّهُ تَمجَّدَ الجسدُ عِندما **أَخذَهُ المسيحُ**، ومَجدُ الألوهِيَّةِ يُصبِحُ مجدَ الجَسَدِ. وبتأنُّسِهِ وصلبِهِ وقيامتِهِ منْ بينِ الأمواتِ وصعودِهِ، جَلسَ **المسيحُ** كإلٰهٍ وإنسانٍ، عنْ يمينِ **الآبِ** مَع طبيعَتَهِ البشريَّة التي أَخذها، أي «جسدِهِ» بحسبِ الآباءِ، وصَنعَ طريقَ التَألُّهِ لكلِّ المؤمنينَ بِهِ.

وقُبَيْل صعودِ المتأنِّسِ **ربِّنا يسوعَ المسيحِ** والمصلوبِ بالجَسَدِ والقائمِ من بينِ الأمواتِ إلى السَّماواتِ، أوصَى تلاميذه الرُّسل القدِّيسين قائلًا: « فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوح الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». (مت ٢٨ : ١٩–٢٠)، وهذا ما تُتَمِّمُهُ الكَنيسةُ من خلال التلاميذ الرُّسل القدِّيسين، وخلفائِهم رؤساءُ الكهنةِ والكهنةِ والرَّعيَّةِ المسيحيَّةِ، لكي تُنجِز هذه الوصيَّة حتى المجيء الثاني، وذلك من خلال مفاعيل **الرُّوح القُدس** المستقرِّ بجسد **المسيح** السِّرِّي (الكنيسة). «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.» (يو١٤ : ٢٦). أي التَعليمَ والـمُصالحةَ وتَقديسَ النّاسِ، وعودتهم إلى الملكوت، حتّى يَعُمَّ ويسودَ على الأرضِ ما سُمِعَ في الليلةِ الأولى من ميلادِهِ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي الناس الْمَسَرَّةُ» (لو٢ : ١٤)

إنَّ الكَنيسةَ في كلِّ مَكانٍ في الأرضِ وبخاصةٍ **كنيسةُ أورشليم المباركةُ** تُكرِزُ بهذا القولِ وتقومُ بهذا العملِ طَاعةً لمؤسِّسها، وإذْ تَخدُمُ في أمَاكِنِ ظُهورِهِ بالجسدِ، وأولُّها **مَدينةُ بيتَ لحم**. في كنيسةِ المهدِ القسطنطينيةِ الملوكيَّةِ، وفي هَذهِ الَمغارةِ البسيطةِ المتواضعةِ القَابلةِ للإلهِ سَتحتَفِلُ هَذهِ السَنةَ أيضًا أمُّ الكنائسِ مبتدئةً بأورشليم، محافظةً على تقليدِها العريقِ

بمناسبة عيد الميلاد المجيد وبدء السنة العالميَّة الجديدة

تتقدَّم جمعية نور المسيح بأجمل التهاني القلبيَّة

إلى غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
وسائر أعمال فلسطين والأردن

بوافر الصحة والمزيد من العطاء

لرفع شأن الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة

لسنين عديدة ومديدة يا سيِّد

منذُ أيامِ **الزائرةِ الحاجةِ إيجيريا** وسَلَفِنا **السعيدِ الذكرِ البطريرك صفرونيوس**. وتَحتَفِلُ أيضًا هذهِ السَنةَ أمُّ الكنائسِ بِبَساطَةٍ وتواضُعٍ بدونِ مَظاهرِ الاحتفالِ، لأنَّ رَاحِيلَ أُخْرَى تَبْكي، على ضَحَايا الحربِ الْمدَمرةِ في غَزةَ وفي المَناطِقِ الشَاسعةِ، وتُنَاشِدُ الكَنيسةُ حُكَّامَ العالِمِ الذينَ لَديهِم القُوَّةُ والَمقدرَةُ لِوقفِ الأعمَالِ الحربيَّةِ العدائيَّةِ منْ أجلِ حِمايةِ كُلِّ نَفْسٍ بَشريّةٍ؛ لأنَّها صورةُ اللهِ.

وإذْ ممُتْلَئينَ بِفَرحِ **ميلادِ المسيحِ نَتَقدّمُ بِبركاتِنا وأدعيَتِنا البطريركيةِ والأبويّةِ** إلى: « كلِّ منْ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ » (١ يو ٤: ٢)، وإلى زوَّارِنا الأتقياءِ وبالأخصِّ رعيتُنا التقيَّةِ في غَزَّةَ ومع صلواتِنا لكيْ يبقى **القديسُ بورفيريوس أُسقف غزَّة** حَاميًا للرَعيَّةِ ولكلِّ **مَنْ هُم في ضيقٍ ورُزءٍ شَديدٍ بِسببِ الحربِ المشْتعلةِ.**

هَذِهِ الْحَرْبُ الَّتِي ارْتَقَى ضَحِيتَهَا الْآلَافُ مِنَ الْمَدْنِيِّينَ، غَالِبِيتُهُم مِنَ الأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ، وَدُمِّرَتْ خِلَالَهَا أَحِيَاءٌ سَكَنِيَّةٌ بِرُمْتِهَا، وَمَدَارِسُ وَمُسْتَشْفَياتٌ ودورُ عبادةٍ وَمَرَاكِزُ ثَقَافِيَّةٍ وَآثَارٌ تَارِيخِيَّةٌ، لِتَكُونَ شَاهِدًا عَلَى مَدَى الشَّرِّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِهِ الإِنسَانُ الظَّالِمُ. فَنَرْفَعُ دَعَوَاتِنَا لِرَبِّنَا الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ المُبارِكِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ملك السَّلَامِ، لِيَرْفَعَ الظُّلْمَ وَالْعَذَابَ عَنْ أَهْلِنَا فِي غَزَّةَ، وَيُمْنِحَهُمْ الأَمَانَ وَالسَّلَامَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، لِأَنَّنَا نَتَوَجَّعُ لِوَجْعِهِمْ، وَنَتَأَلَّمُ لآلامِهِم، وَمِنْ هَذَا الْمَنْطِقِ أَتَتْ دَعْوَتُنَا لِاقْتِصَارِ أَعِيادِ الْمِيلَادِ عَلَى الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ فَقَطْ، فِي رِسَالَةِ وَحْدَةٍ وَتَكَاتُفٍ، لَيْسَتْ فَقَطْ لِأَهْلِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا الْمُعَذَّبِينَ فِي غَزَّةَ بَلْ أَيْضًا رِسَالَةٍ إِلَى شعوب الْعَالِمِ، بِأَنَّنَا شَعْبٌ وَاحِدٌ يَعِيشُ نَفْسَ الأَلَامِ وَالآمَال.

تُبارِكُ كنيسةُ أورشليمَ رَعِيَّتَهَا في الأرضِ الْمقدَّسَةِ، مُتضرعينَ إلى العليّ القديرِ أن يمنحَكم جميعًا العمرَ المديدَ ليحصد شعبنُا ثمرةَ نضال طويلٍ للوصولِ إلى دولةٍ فلسطينيةٍ حُرَّةٍ مستقلة.

في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدَّسَةِ عيدُ الميلادِ المجيدِ ٢٠٢٣

كل عام وأنتم بخير

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

صادَفَ قبل سنة مرور ثلاثين عامًا على الوفاةِ المفاجئةِ والمأساويَّةِ **للمغبوطِ قُدس الأرشمندريت أنطونيوس رئيس دير لاڤرا خوزيڤا المقدس التاريخي**. وُلِدَ الأب أنطونيوس يوسيفيديس في **قرية أَفْلِيس صربيون في كوزاني** عام **١٩٥٨** وسمي بٱسم **أبوستولوس**. هو الابن الثالث لأبوين تَقِيِّين، طفلٌ قلقٌ بالنفس، لكنه ديناميكي وجريء لا يعرف الخوف. نال بركة بأنَّ والديه الصالحَيْنِ علَّماه الإيمان المستقيم، وعندما انتقلا إلى **مدينة تسالونيكي** عام **١٩٦٦**، أرسلاهُ الى المركز الرُّوحي الرعوي ليقوده إلى التعليم المسيحي، عمل المغبوط الأب ألكسندروس كالباكيديس الذي فيما بعد أصبح **مطران ستافروبيجِيُّو** على نفسيَّته وروح طفولته! كتب الأب أنطونيوس نفسه:

« أشفقَ عليَّ **الرَّبُّ** الرحيم، الذي لا يريد موت الخاطئ، وقد حماني، وها هنا يا شيخي المعجزة الكبرى، لأنَّني الآن أنظر خلفي بفكرٍ واضح وأظَلُّ كسمكة عاجزة عن الكلام. الآن أفهم حماية الله لي، والآن أرى وأقول إنَّني عرفتُ **المسيح** من خلالك، **المسيح** تكلَّم فيَّ بصوتِكَ، بموعظتك، وكانت حياتك قدوة لي، لقد حَفَرْتَ في روحي عميقًا جدًّا منذ أنْ كنتُ صغيرًا وزرعت كلمة الإنجيل التي بمرور الوقت مع وعظك أصبحت طبيعة ثانية في نفسي، وعندما أردت أنْ أفعلَ شيئًا جيِّدًا أو سيئًا كنت أَزِنُهُ بالإنجيل، حيث حماني من ذنوب كثيرة كبيرة.» (١)

وعلى إثْرِ دعوة قلبه وميله، توجه بخطواته إلى **دير القديس سابا المقدس** سنة **١٩٨٥** حيث كان عمره **٢٧** ربيعًا. كراهبٍ في الدير تَمَّيز **بالطَّاعةِ، ونكران الذَّات**، وأيضًا بالاحترام والتواضع والمحبَّة للجميع. حصل على الدرجة الأولى من الكهنوت في عهد **البطريرك الأورشليمي المغبوط ذيوذوروس** في كانون الأول عام **١٩٨٥** في يوم عيد اللاڤرا المقدسة، وبعد سنة بالضبط حصل على الدرجة الثانية من الكهنوت. في عام **١٩٩٠** عُيِّن كاهنًا في بيت ساحور ـ قرية الرُّعاة ـ حيث نال محبَّة وتقدير الرعيَّة الأرثوذكسيَّة الناطقة بالعربيَّة بأكملها. وفي نفس العام أظهر طاعة شديدة **للبطريرك ذيوذوروس** وانتقل بأمر **البطريرك** إلى **لاڤرا دير خوزيڤا** التاريخيَّة بسبب شغور منصب رئاسة الدير. بذل قُصارى جهده لمدة ثلاث سنوات في إعادة تنظيم الدير ماديًّا وروحيًّا. اهتم بتجديد البُنية التحتيَّة وصيانة الموجود منها وإعادة بناء قلايات الدير الرهبانيَّة. لكن الأمر الأكثر أهمية هو أنَّه شرع في إنشاء برنامج رهباني وحفظه بأمانة: احتفال يومي بالقداس الإلهي وجميع الخدمات الكنسيَّة على مدار الأربع والعشرين ساعة حسب النظام الكنسي الرهباني. ولانَّه كان مثالا صالحًا لمن كان يعيش في الدير في ذلك الوقت، اقتنع الجميع باتِّباعه!

لقد انقطع خيط حياته الأرضيَّة في وقتٍ مُبكِّرٍ، لأنَّهُ كان ينتمي إلى أولئك «الَّذِينَ ٱفْتُدُوا (**اشْتُرُوا**) مِنَ الأَرْضِ» (رؤيا١٤:٣). في **٢٧** كانون الأول عام **١٩٩٣** (**١٤** كانون الأول شرقي)، بعد انتهاء خدمة القداس الإلهي، وأثناء العمل اليدوي في الدير، «...فجأة... دوي يَصُمُّ الآذان... يا إلهي، ما هو الارتطام الرَّهيب... ضجيج عالٍ، وكأن شيئًا قد انهار». سحابة من الغبار... وبقفزة خاطفة يندفع ابنه الروحي (الأب جرمانوس) إلى الغرفة، لقد انهار الجدار، أو بالأحرى انفصل جزء من الصخر **وسحقَ الييروندا أنطونيوس (الشيخ)**، وترك رأسه سليمًا! ... الأب أنطونيوس في كامل وعيه ويتكلم! ...بدون تردُّدٍ للحظَةٍ {الأب. جرمانوس}، أو بسبب حجم ووزن صخور الجرانيت، يبدأ في الإمساك بها واحدة تلو الأخرى ورميها بيديه بجهدٍ كبير لتحرير المُصاب. وعندما ينجح، يلتقطه بعناية ويحمله بلطف قدر استطاعته إلى السرير. لا يرى أي علامات لإصابة خارجيَّة، لكن **الييروندا أنطونيوس** بصعوبة يكرر:

« **يؤلمني... يؤلمني... في ظهري...**»

لقد بدأ الأب جرمانوس يخاف حقًّا الآن! ربما للمرة الأولى والأخيرة في حياته يختبر الرجل ذو القلب الأسدي، ما يعنيه «الخوف»!... لاحقًا، في سيارة الأجرة، يمسكه بقوَّة، ولكن بحذر حتى لا يؤذيه ويخاف جرمانوس. ! إنَّهُ خائف جدًّا الآن، لأنه يسمع شيئًا مثل **التَنَفُّس الثقيل** وتنفس **الييروندا أنطونيوس** يجعل الأمر **صعبًا، صعبًا، يزداد ثقل تنفُّسه أكثر واكثر...** حتى توقف تمامًا!» (٢)

وكما يقول **القديس غريغوريوس النيصي** في خطبة جنازة القديس **ملاتيوس الأنطاكي**: إنَّه «**تزيَّن في السَّماءِ بثيابِ طهارَةِ حياته**». هكذا لَبِسَ الأب **اليرواندا أنطونيوس** لباس العرس السماوي.

حقًّا إنَّ الأخ الحبيب والأب أنطونيوس موجود بيننا بالرُّوح! (لأنَّه يعيش بنعمة المسيح). إنَّ قِيَمَهُ ومبادئه، وكيف عاش، وطاعته التي لا مثيل لها، وغربته الرهبانيَّة، وديناميكيَّته وعفويته، هي: «مصباح في طريقنا». في الصعوبات التي نواجهها نستحضر رغبته، ونحاول أن نفكر ماذا سيفعل، وكيف سيجيب، وكيف سيكون ردُّ فعله... شجاعتهُ تحركنا، ومحبته للقريب، وقلبه الرحيم يدفعنا إلى الاقتداء به. نُسكه يعلّمنا... زهده الرهباني يرشدنا... التفاؤل والمحبة الإلهيَّة المتدفقة في حياته، تغمرنا مع فرح وانتظار القيامة للراقدين

بيننا: «يبدو الأمر كما لو أنَّهُ أغلق علينا في ساعات الفجر الأولى، نزلنا من الكنيسة إلى الحديقة، عند قبر الأب أنطونيوس كل واحد منَّا يحمل شمعه في يده. وكان الطريق للأسفل؛ لقد نزلنا حزينين، ولكن ليس يائسين. وكان بيننا الأب أنطونيوس أكثر حضورًا من الحاضرين. ولم يكن للموتِ سلطان عليه» (٣) . فليكن ذكره مؤبدًا.

المصادر: ١+ ٢ – كتاب شخصيات دير خوزرفا للأرشمندريت قسطنطين الخوزيقي ٢٠٢٠

٣ – من الخطبة التأبينيَّة التي القاها **السكرتير العام للبطريركية سيادة المطران أريسترخوس** في ذكرانيَّة الأربعين للأب أنطونيوس الراقد بالرَّبِّ.

حقائق من حياة الأرشمندريت أنطونيوس رئيس دير خوجاقا - كيف دعاه الله إلى سلك الرهبنة

قال الأرشمندريت أنطونيوس: كنتُ سائقًا **لشاحنة طويلة *(Semitrailer)*** في اليونان، وأسافر كثيرًا لدُولٍ أوروبيَّة لتوصيل البضاعة، وبسبب السفر المتواصل والمُنهِك، كنت أستمع إلى محطاتٍ في المذياع، أو أصغي إلى أشرطة مسجَّلة الموجودة بكثرة داخل غرفة القيادة في الشاحنة، وفي إحدى المرَّات أجد بشكلٍ غريب، شريطًا مُسجَّلًا **للموسيقى والألحان الرُّومِيَّة البيزنطيَّة**، أستمتعتُ جدًّا بالصلوات والطروباريات والتراتيل الأرثوذكسيَّة الجميلة، وكنتُ أتمعَّن فيها، فلفت انتباهي أسماء مدن وأماكن في الأراضي المقدسة كانت تُذكر في الترانيم (مثلًا: التجلّي على **جبل ثابور**، استنيري استنيري يا **أورشليم** ، باعتمادك يا ربُّ في **نهر الأردن** ... الخ...)، فقرَّرتُ السفر كرحلة سياحيَّة لزيارة الأراضي المقدَّسة، والتعرَّف على هذه الأماكن، وهكذا حصَلَ.

وعندما وَصَل إلى دير القديس سابا العامر، قرَّر المكوث هناك لفترةٍ زمنيَّة مُعيَّنة، فبدأتِ النعمة الإلهيَّة تشتعل في قلبه وفكره، فخشعت روحه للحياة الملائكيَّة، وسيمَ راهبًا في الدير.

وفي الليلةِ نفسهابعد سيامته راهبًا، وهو مستلقٍ على سريرهِ في قِلَّايتهِ، والبسمة تغمر مُحيَّاهُ، لعظمة النعمة التي حصَل عليها، نَهَضَ مُسرعًا من سريره نحو الطاولة ليفتح الجارور ويتناول محفظته التي فيها **جواز السفر ومبلغ مائة دولار أمريكي**؛ ماذا فعَلَ يا تُرى؟ ذهبَ مُسرعًا إلى قِلَّاية **رئيس الدير سيرافيم**، وقرَعَ باب غرفته، وكان منتصف الليل، فسَمِعه يقول: **من الذي يقرع الباب في ساعة متأخرة؟ ماذا حصل؟**. وما أنْ فتح **رئيس الدير** باب غرفته، وإذ بالراهب أنطونيوس يعطيه المحفظة وما فيها، وبدون كلامٍ. عاد إلى غرفته باسِمًا، وهو يقول: الآن لا يوجد أيّ شيء يملك فكري، كلِّي الآن **للمسيح**.

وفي غروب **عيد القديس سابا، ٤** كانون الأول شرقي عام **١٩٨٥**، وصل **البطريرك ذيوذورس الأوَّل بطريرك المدينة المقدَّسة أورشليم** إلى الدير للاحتفال بعيد اللاقرا المقدَّسة، وكان الراهب أنطونيوس من ضمن الأشخاص المستقبلين لغبطتِهِ، وكان مُنهك القِوَى بسبب عَمله المتواصل منذ الصباح الباكر في الدير تهيئة للعيد.

وفي صالة الضيافة، أجال **غبطة البطريرك** نظره إلى الأشخاص المتواجدين هناك ناظرًا إليهم، وأخيرًا أحدقَ بالراهب أنطونيوس قائلًا له: غدًا سوفَ تُرسم **شَمَّاسًا**، إنذَهَلَ الراهب أنطونيوس **ممَّا** سمعه، لكن صدره امتلأ بالغبطة والبهجة، فأطاع البطريرك طاعة عبدٍ لسيِّده.

وفي الليلة عينها، وقبل الرسامة، (في فترة الاستراحة بعد منتصف الليل) كان الراهب أنطونيوس غارقًا بالنوم، وفي الحُلم: إذ **بالقِدِّيسَيْنِ سابا ويوحنا الدمشقي** يُمسكان بيديه ويُدخِلانه إلى الهيكل المقدَّس.

✝ عندما كان **رئيسٌ لدير القديس خوجاقا** في وادي القلط، كان أبَ اعتراف لعدَدٍ كبيرٍ من المُعْتَرِفين، وذلك لحسنِ سيرته والنعمة المتألِّقة على وجهه.

✝ دُعِيَ الأب أنطونيوس لزيارة **قرية كفركنا – قانا الجليل** عندما كان **الأرشمندريت ثيوفيلس الرئيس الروحي** لرعيَّة الرُّوم الأرثوذكس في كفركنا (**البطريرك ثيوفيلُس الثالث بطريرك المدينة المقدَّسة أورشليم**).

ملحوظة: **الأرشمندريت ثيوفيلُس** قام بنهضة جذريَّة وكبيرة على الصعيد الرُّوحي والاجتماعي والكَنَسي، فجعل **من كنيسة الرُّوم الأرثوذكس في قانا الجليل** مركزًا مُهمًّا، لتكون منارة تشعُّ بعد أنْ أضرَمَ فيها شعلة الإيمان، فقبل الإحتفال بعيد الدير، كان يُرسل دعوات إلى سفراء الدول الأرثوذكسيَّة: **روسيا، رومانيا، بلغاريا** الخ ... للاشتراك بعيد قانا الجليل وهي العجيبة الأولى التي اجترحها السيِّد **يسوع المسيح** بتحويل الماء إلى خمر، فكان يُحتَفَلُ فيه بالأحد الأول بعد الفصح المجيد وهو أحد القديس توما، فكانت وفودٌ كثيرة تأتي **للاحتفال بعيد قانا الجليل**، سواءً من أهل القرية أو من الزوَّار والأجانب، وخاصة من السفارت الأجنبيَّة، وأيضًا كان يَفِدُ جمعٌ كبيرٌ من الرهبان والآباء، فكانت ساحة الدير تزدحم بالزوار، وبعد الانتهاء من الصلوات والدورة التقليديَّة حول الكنيسة، كانت تُقام موائد طعام تقدَّم فيها أرقى وجبات الطعام، فَرَحًا وبهجَةً لهذا الاحتفال الفريد. لأنَّ **الأرشمندريت ثيوفيلُس** كريمٌ جدًّا (كما يقول المثل الشعبي عندنا:**الجود حرارة بالجلود**).

دُعِيَ **الأرشمندريت أنطونيوس رئيس دير خوجاقا** لهذا الاحتفال، لأنَّ علاقته متينةٌ جدًّا **بالأرشمندريت ثيوفيلُس**، وإذا بأحد المدعوين من سكان كفركنا وهو غير مسيحي، له مركز قيادي في القرية، أنْ تَوَجَّهَ الى **الأرشمندريت ثيوفيلُس** مستفسرًا عن **المتوحِّد أنطونيوس** قائلًا له بالعاميَّة: (**أبونا مين هذا الراهب، وجهو زيّ وجه سيِّدنا المسيح**). ■

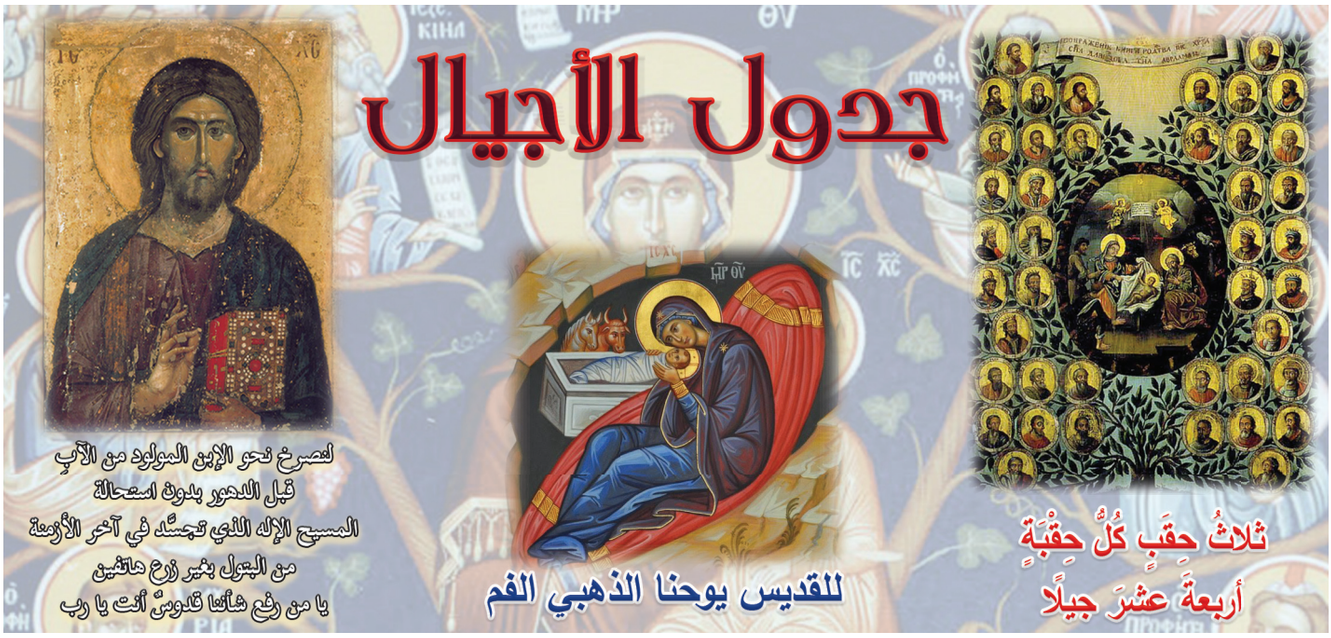

لمواكبة وفهم عظة القديس يوحنّا الذهبي الفم، رجاءً قراءة إنجيل متى الإصحاح الأوّل (متّى١-٢٥)

١- يُقَسِّم **الإنجيليّ** كُلَّ الأجيال إلى ثلاثِ حِقَبٍ، لكي يُبيِّن أنَّ التغييرات التي جرت **في الحكم اليهودي** لم تُحَسِّن أخلاق هذا الشَّعب، وانَّهم بانتقالهم من الحُكم الأريستوقراطي إلى الحكم الملكي فإلى حكم الأفراد ظَلُّوا على شُرورهم نفسها، وانَّهم لم يعودوا يتحدَّثُون عن الفضيلة في عهد القضاة والملوك. لكن: لأيِّ سببٍ أهمل ثلاثةً **من الملوك** في الحِقْبَةِ الأولى. وفي الحِقْبَةِ الثالثة بعد أن ذكر اثني عشر جيلًا لماذا قال انها أربعة عشر جيلًا؟ إنِّي أدع حلّ المسألة الأولى لعنايتكم لأنَّهُ ليس من الضروري أنْ أجيبَ على كُلِّ شيءٍ لئلا **تملُّوا**. فاقتصر على حل **المسألة الثانية**: الرأي عندي أنَّ زمنَ الجلاءِ يُحسب جيلًا وأَنَّ **المسيح** نفسه يحسب جيلًا آخر، ولو انَّهُ كان مماثلًا لنا في كُلِّ شيءٍ. ولقد أصاب **الإنجيليّ** في ذكر الجلاءِ لأنَّهُ بَيَّنَ لنا أنَّ **إبعاد اليهود إلى بابل** لم يُصْلِحْ أحوالهم بحيث أصبح مجيء **المسيح** المخلِّص أمرًا لا بُدَّ منه. لعلَّكم تقولون لي: لماذا لم يفعل **مَرقس** ذلك ولم يُخْصِ نسب **يسوع** بل اختصر قصته في جميع الأمور؟- يلوح لي أنَّ **متّى** كان أوَّل من شَرَعَ في العمل، فلذلك دقَّقَ في وضع جدول النسبة وحدَّدَ فيه النقاط الجوهريَّة، وأمَّا **مَرقس** فقد جاء بعده واختصر الطريق إذ رجع في عمله إلى ما قيل واشتهر. فلماذا إذن وضع **لوقا** أيضًا جدول النسبة وأسهب فيه؟- لمَّا كان **متّى** قد سَبَقَهُ إلى هذا العمل، أراد أنْ يزيدَنَا معرفة بالتعليم المنتشر. على أنَّ كُلًّا منهما نسجٍ على منوال معلِّمِهِ. إذ أنَّ **لوقا** اقتدى **ببولس** الذي يزيد كلامه فيضانًا على الأنهر العظيمة. وأمَّا **مَرقس** فاقتدى **ببطرس** الذي اتخذ أسلوبًا موجزًا.

لماذا لم يبدأ **متّى** كتابه كما يبدأ **الأنبياء** كتبهم هكذا: «الرُؤَى التي رآها» أو «كان كلام الرَّبِّ إليَّ»؟- ذالك لأنَّهُ كتب لقوم ذوي نِيَّة سليمة يرغبون كُلَّ الرغبة في الإصغاء إليه، إذِ الآيات التي جرت كانت باهرة، والذين تقبَّلُوا تعليمه كانوا على غاية من الصدقِ والغيرة. أمَّا في عهد **الأنبياء** فلم يكن من آياتٍ عظيمة تُعزِّز تعليمهم. وكانت **زُمرة الأنبياء الكذَبَة قد تكاثرت**، والشَّعب اليَهودي كان يختار الاستماع إليها، فلذلك وجب على **الأنبياء** أنْ ينهجُوا ذلك النهج في مقدمات كتبهم، لأنَّهُ إذا كانت جرت قديمًا آيات فإنَّما جرت لأجل **البربر** وتكثير عدد الدخلاء منهم، وإظهار قُوَّة الله، فلا يظنُّ أعداء الشعب انهم إذا ما فازوا ينسبون عوامل فوزهم إلى **قدرة آلهتهم**، كما جرى في **أرض مصرَ** حين ارتحل عنها الشَّعب ككتلة عظيمة متراصَّة، وكما جرى **في بابل** أيضًا فيما يتعلَّق بأَمْرِ الأتون والأحلام (الأتون والفتية الثلاثة، ودانيال وتفسير الأحلام). وقد كثرت الآيات في البريَّة بعد أنِ اطمأنَّ إلى نفسه كما حدث للشعب المسيحي: عند خروجنا **من الضلال** جرت آيات كثيرة، وبعدئذٍ وقفت لما نبتت بذور الديانة الحقّة في كُلِّ مكان. نعم إنَّ الآيات قد استُؤْنِفَ حدوثها بعد خروج الشَّعبِ من البريَّةِ (من أرضِ مصرَ إلى أرضِ كنعان) غير انَّها كانت نادرة ومتقطعة، كوقوف الشمس في سيرها (معجزة وقوف الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل) (يشوع١٠ :١٢) ، وكذلك رجوعها إلى الوراء. وقد شوهد الأمر نفسه أيضًا في الدين المسيحي إذْ في أيامنا عينها على **عهد يوليانوس** الذي فاق الجميع **كُفْرًا** جرت آيات كثيرة وأشدَّ غرابة. وكذلك لما عَمَدَ اليهود إلى إعادة بناء الهيكل في أورشليم **اندلعت ألسنة النار من الأُسس وشتَّتت جميع العمال**. كذلك لما **دنّس يوليانوس نفسه** الأواني المقدسة **بحمَقِهِ المعهود** انتقم الله من خازنه الذي كان يحمل اسمه، فهلك الأول والدود ينهشه، وشاهد الثاني أمعاءه تندلع من جوفه. **ومن أعظم العجائب التي جرت في عهد هذا الملك، الينابيع نضبت عندما كان يُقرِّب الذَّبائح للأصنام وفتك الجوع في المدن فتكًا ذريعًا.**

٢- هكذا يفعل الله متى شاء أنْ يُعلِنَ ذاته، فإذا ما استفحل الشرّ وإذا ما رأى أخصاءه مضطهدين، وخصومه تَمِلينَ بخمرة طغيانهم يُظهر قدرتهُ الذَّاتيَّة على نحو ما صنع باليهود في **بلاد فارس** حيث أحاطهم بعنايته.

فيتضح من هذا أنَّ **الإنجيليّ** لم يفعل صُدفة ولغير علَّة، إذْ قَسَّمَ أجداد

المسيح إلى ثَلاثِ حِقَبٍ. فلنفحص الآن أَيْنَ يبتدئ كُلٌّ منها وأين ينتهي. من **ابراهيم** إلى **داود**، ومن **داود** إلى **جلاء بابل** إلى **المسيح**. قد وَضَعَ **ابراهيم وداود** في رأس الحقبتين الأُولَيَيْنِ على أَنَّهُ ذَكَرَهُمَا أيضًا في جدول النسب كُلًّا في رتبته، لأنَّ الوعود قُطعت معهما كما قلتُ سابقًا. ولماذا لم يذكر **الهبوط إلى مصر** كما ذكر **الجلاء إلى بابل**؟ لأنَّ اليهود لم يعودوا يخافون الحادث الأول (هبوط يعقوب وأولاده إلى مصرَ) بينما كانوا لا يزالون يرتعدون من الحادث الثاني (جلاء بابل) إذْ كان أَولهما قديمًا، والثاني حديثًا. ذاك لم يكن لمعاقبتهم (الهبوط إلى مصرَ)، أمَّا هذا فكان **لأجل آثامهم** (جلاء بابل). إذا أراد أحدٌ أنْ يخوضَ في شرحِ الأسماءِ يجد فيها نظريَّات كثيرة واسعة لها صلة بالعهد الجديد كأسماء **ابراهيم ويعقوب وسليمان وزروبابل**، إذْ لم تُعْطَ لهم هذه الأسماء دون ما سَبَبٍ. لكن لكي لا أُرهقكم بأحاديث طويلة لا شأن لها، فلندع ذلك جانبًا، لنقبل إلى ما هو أهم وأَجْدَى.

بعد أنْ ذكر المؤرِّخ (الإنجيليّ) الأجداد كلهم وانتهى إلى **يوسف** لم يقف عنده بل أضاف قائلًا: «يوسف خطيب مريم» مُبَيِّنًا أنَّهُ لأجلها وُضِعَ جدول النَّسَبِ. ثُمَّ لئلَّا تَظُنَّ عند سماعك «رجل مريم» أنَّ **المسيح** وُلِدَ بحسب الناموس الطبيعي، أُنْظُر كيف صَحَّح **ذلك الغلط** فكأنه يقول: سمعتَ أَنَّ هناك رَجُلًا، وأَنَّ هنالك أُمًّا، وأَنَّ هنالك اسمًا أُعطي للصبيِّ، فاسمع أيضًا نوع المولد: «أمَّا مولد المسيح فكان هكذا». أَلَا قُلْ لي: عن أيِّ مولد تحدِّثني؟ أفما كنتَ تصف لي الأجداد؟- بل أريد مع ذلك أنْ أصفَ لكَ أيضًا نوع مَوْلِدِهِ. أَتَرَى كيف يستنهض سامعيه؟ إنَّه سيقول لهم أَمرًا جديدًا خطيرًا، ويخبرهم بأنَّهُ سيتحدَّث إليهم عن نوع ذلك الأمر. أُنظر إلى الارتباطِ الجميل بين أجزاء كلامه. لم يطرق موضوع المولد مباشرة، لكنَّهُ يخبرنا عن عدد الحلقات التي تربط **ابراهيم بداود، وداود بجلاء بابل**، عائدًا على هذا النَحْوِ بمستمعيه المنصتين إلى تلك الأزمنة الغابرة، لِيُبَيِّن لنا أنَّ **المسيح** هو ذاك الذي أخبرت عنهُ **الأنبياء**. فمتى أَحْصَيْتَ الأجيال وعلمتَ مِنَ الزَّمنِ أنَّهُ هو **الماسيَّا الحقيقي** يسهل عليك قبول الحادث الغريب المختص بمولده. فلما كان **الإنجيليّ** مُزمعًا أنْ يقولَ أمرًا خطيرًا كما قلتُ، وهو أنَّ **المسيح** سيولد من **عذراء**، فقبل أنْ يُحصي الزَّمن يُلْقِي ظِلًّا على كلامه جاعلًا: **يوسف** رجل **مريم**. وعلاوة على ذلك فانَّهُ يُقَسِّم جدول **أنساب الآباء**، ثمَّ يحصي أعمارهم لِيُنَبِّهَ مستمعيه إلى أنَّ **المسيح** هو ذاك الذي قال عنه **يعقوب** أب الآباء، إنَّهُ سيجيءُ عندما تكون **مملكة يهوذا** خالية من الرؤساء. وهو الذي أخبر عنهُ **النبي دانيال** أنَّه سيظهر بعد عدَّة من أسابيع السنين. فمن أرادَ أنْ يُحصيَ عدد أسابيع هذه السنين التي أوحى بها **الملاك** إلى النبي **دانيال**، والتي مَرَّت منذ بناء المدينة (أورشليم) إلى ميلاد **المسيح**، يرى أنها مطابقة تمام المطابقة لعدد الأسابيع. (أُنظر سفر دانيال الإصحاح التاسع).

فكيف وُلِدَ إذًا؟ «لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ». لم يصفها **الإنجيليّ بعذراء** بل وصفها فقط بأُمٍّ ليكون كلامه مقبولًا حتى إذا أَعدَّ مستمعيه إلى استماع أمرٍ مألوف، وَحَوَّل فكرهم إليه، فاجأَهم بالأمرِ الغريبِ قائلًا: « قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ».

لم يقل: قبل أنْ تُؤخذ إلى بيت زوجها فإنَّها كانت تُقيم فيه، إذِ العادة المألوفة عند القدماء كانت أنْ يقيم الخطيبان في مسكنٍ واحد: إنَّ حَمَوَيْ لوط كانا يقيمان معه. ولا نزال إلى اليوم نرى شيئًا من ذلك. **فمريم** إذًا كانت تُقيم في بيت **يوسف**.

٣– لكن لأيِّ سَبَبٍ لم يتمَّ الحبَل العجيب قبل الزمان؟ ليبقى الأمر خَفِيًّا، ولتظل **العذراء** بمنحًى عَن كُلِّ ريبة سيِّئة، لأنَّ الذي كان يجب أنْ تأخُذه الغيرة أكثر من سِواه ليس فقط لم يَخْلِهَا ويعرِّض كرامتها للإهانة، بل أيضًا حفظها عنده مع علمه بما هي عليه. فمن الجليّ أنَّه لم يكن سلك معها هذا المسلك لو لم يتحقَّق أنَّها كانت حُبلَى بفعل **الرُّوح القُدُس**، وإلَّا لما خدمها في كُلِّ شيء وحفظها عنده. **أَمْعِن** النظر في هذه العبارة: «وُجِدَتْ حُبْلَى». اعتاد الناس أنْ يُعَبِّروا هكذا عندما يتمَّ أمرٌ خارجٌ عن المألوف، ويتعدَّى كُلَّ أمل، ويناقض الأفكار المقبولة عند الجميع. فلا تذهب إلى ما أبعد، ولا تبحث أكثر مما قيل لك، ولا تسأل كيف صنعَ **الرُّوح القُدُس** هذه الأعجوبة في مستودع **عذراء**. إذا كان تكوين الإنسان وِفقًا للنظام الطبيعي يعسُر علينا فهمه، و يُمتنع شرحه، فهل نستطيع أنْ نقول كيف تمَّ فعل **الرُّوح القُدُس**؟ فَلِئَلَّا تتهكَّم **بالإنجيلي** وتستمرَّ على إرهاقه بالأسئلة. فهو يتخلَّص باعلان اسم صاحب الأعجوبة. فكأنهُ يقول: لا أعلم شيئًا إلَّا أَنَّ كُلَّ ما حصَلَ تمَّ بفعل **الرُّوح القُدُس**. فليخجل إذًا الذين يحاولون كشف سِرِّ المولد. فإذا كان لا يستطيع أحد أنْ يشرحَ المولد الإلهي الذي يشهد له ألوف من الناس، وأخبرت عنه عصور بعيدة، ووقع تحت الحواس، فإلى أيِّ درجة من الجنون لا يندفع أولئك الذين يُجهدون نفوسهم بطُرق متنوِّعة لإدراك المولد الذي يتعذَّر على العقل البشري وصفهُ؟ فلا **جبرائيل ولا متّى** كان في طاقتهما أنْ يقولا لنا أكثر مما قالا أَنَّهُ مِنَ **الرُّوح القُدُس**. أمَّا كيف كان مِنَ **الرُّوح القُدُس**؟ وبأي طريقة تمَّ؟ فهذا ما لم يقلهُ أحد ولا بوسع أحد أنْ يشرحَهُ.

فلا تَظِنَنَّ أَنَّكَ فهمتَ كُلَّ شيءٍ عند سماعك مِنَ **الرُّوح القُدُس** حتى ولو عرفنا ذلك فانَّنا نجهل أمورًا كثيرة. مثلًا: «كيف غير المحصور يحصَر في مستودع أُمٍّ. وكيف الحاوي الكُلَّ تحمله امرأة. وكيف عذراء تلد وتظل عذراء؟ بل قل لي كيف صَنَعَ الرُوح القُدُس هذا الهيكل؟ وكيف جسد الكلمة لم يخرج رجلًا كاملًا من مستودع أُمّه بل خرج طفلًا، ثم كَبِرَ وتكوَّن تدريجيًّا؟». أمَّا أنَّهُ خرج من جسد **العذراء** فواضح من قول **متّى**: «لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» وبولس يقول: «مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ» (غلاطية:٤:٤). من امرأة يقول الرسول ليكمَّ أفواه الذين يقولون أنَّ **المسيح** مَرَّ في **العذراء مرور مياه في الأنبوب**. لأنَّهُ إذا صَحَّ ذلك فما الحاجة إلى مستودع امرأة. إذا صحَّ ذلك فليس من شركة بيننا وبينه. بل كان جسده جسدًا آخر ومن أصلٍ آخر. وإلَّا فكيف يكون مِنَ **يَسَّى**؟ وكيف يكون **عصًا**؟ «وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا.» (عدد١٧:٨). وكيف يكون **ابن البشر**؟ وكيف يكون **زهرة**؟ وكيف تكون **مريم أمه**؟ وكيف يكون من **نسل داود**؟ وكيف أخذ **صورة عبد**؟ وكيف يمكن أنْ يُقال: « وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يوحنا١:٩)؟ وكيف يقول **بولس** للرومانيين: «وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ

الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا» (رومية ٩:٥)؟ فخروجه منَّا إذًا، ومن مستودع بتولي، وكونه من عامة البشر، تُؤيده تلك الأدلَّة وأدلَّة أخرى كثيرة سواها. أمَّا كيف؟- **فنجهل**. فلا تبحث بلا جدوى وحسبك ما كُشِف لك. فلا تحاول معرفة **الأمر المكتوم**.

٤ – «فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا». بعد أنْ أكَّد أنَّ الحملَ كان **بفعل الرُّوح القُدُس** وبغير مضاجعة فهو يثبت كلامَهُ منْ وجهٍ آخر. فلئلا يُقال له: وما الدليل على ذلك؟ مَن شاهَدَ ومَن سمع بحادث مماثل؟ فَلِئَلَّا ترتاب في أنَّ التلميذ يبتدع ذلك مراعاة لمعلمه فهو يستشهد **بيوسف** وبخبرته الشخصيَّة. فكأنَّهُ يقول: إذا كانت نفسك لا تطمئن إلى كلامي ويخالجك ريب في شهادتي فثِق بشهادة **يوسف** الذي كان رَجُلَها فضلًا عن أنَّهُ كان **صِدِّيقًا**. – **صدِّيق** معناه البارُّ الحائز كُلَّ فضيلة. بل الصِّدق هو انتفاء كُلِّ شَهْوَةٍ بل هو الفضيلة الكاملة. وبهذا المعنى خصَّها الكتاب إذْ قال قديمًا: «وَكَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا» (أيوب١:١) وأيضًا: «وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ (صدِّيقين)» (لوقا١:٦).- إذًا إذ كان **صِدِّيقًا**، أيْ كُلُّهُ اعتدال وحكمة، «هَمَّ بتخليتها سرًّا» فلذلك يخبر المؤرخ متّى بما كان قبل حوادث المولد، حتى لا تكون غير مؤمن بما كان بعد إذاعتها. والواقع لو كانت الريبة لها أساس لما استحقت المرأة أن تُشهر فقط، بل أنْ **تعاقب أيضًا وفقًا للناموس**. لكن **يوسف** لم يكتفِ بأنْ صفحَ عمَّا هو خطير، بل صفح أيضًا عما هو أقل خطورة، أي أنَّهُ راعى أسباب حيائها، لأنَّهُ ليس فقط أَبَى أنْ يُعاقبها، بل أيضًا لم يُرد أنْ يُشهرَها. أفترى حكمة هذا الرجل وانتصاره **على الأهواء الطاغية**؟ إنَّك تُدرك ما هي الغيرة، لذلك كان يقول أحد الخبيرين بها: «لأَنَّ الْغَيْرَةَ هِيَ حَمِيَّةُ الرَّجُلِ، فَلاَ يُشْفِقُ فِي يَوْمِ الانْتِقَامِ» (أم ٦:٣٤). ويقول آخر: «الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ.(كالجحيم)» (نشيد الأنشاد ٨:٦). ونحن إنَّما نعرف كثيرين يُؤثرون أنْ يفقدُوا حياتهم على أنْ يعانوا ريبة الغيرة. أمَّا هنا فلم يكن الأمر في شيءٍ من الريبة، إذْ الدلائل الظاهرة كانت تنطبق من تلقاء ذاتها. وبالرغم من كُلِّ شَكٍّ كان **يوسف** من النزاهة عن الأهواء بحيث لم يشأ أنْ يُسَبِّبَ **للبتول** أقلَّ عناء. فبما أنَّ **الناموس** لا يسمح لهُ من ناحية بأنْ يَدَعْهَا في بيته، ومن ناحية ثانية **تَخْلِيَتِهَا وجرَّها إلى القضاء فقد يضطره ذلك إلى تسليمها للموت**، فهو لم يفعل لا هذا ولا ذاك؛ إذْ بدأ يَسْمُو فوق **الناموس** لأنَّهُ عند اقتراب النِّعمة كان لابُدَّ من علامات كثيرة تُبشِّر بالحياة الجديدة السامية. فكما أنَّ الشمس تُنيرُ أكبر جزءٍ من الأرضِ قبل أن تبرز للعيانِ، كذلك **المسيح** كان ينشر نُوره على العالم قبل أنْ يخرج من **مستودع أُمِّه**. لذلك كان **الأنبياء** يهتزُّون طربًا قبل مَوْلِدِهِ، وكانتِ النساءُ يَتَحَدَّثْنَ عن الأمور المقبلة. وكان **يوحنا** يرتكض في بطن أمه. **فيوسف** إذًا أَبْدَى حكمةً سامِيَةً لأنَّهُ لم يَشْكُ امرأتَهُ، ولا أنحى عليها **باللائمة** لكنه عمد فقط إلى تخليتها. وبينما كان على هذه الحال من الحيرة وافاهُ **ملاكٌ** وحلَّ كُلَّ معضلاتِهِ. ولعلَّكم تتساءلون هنا: لماذا لم يتكلَّم **الملاكُ** قبلَ أنْ تطرأ هذه الأفكار على ذلك الرجل؟ ولِمَ لم يحضُر إلَّا بعدَ أن كانت أخذت مجراها؟ لأنَّ **الإنجيليّ** يقول: «وفيمَا هو مُفَكِّرٌ بذلك، إذا بملاكِ الرَّبِّ تراءى ليوسف». مع انَّهُ قبل الحمْلِ كان جاء إلى **امرأته** رسول من قِبَل الله فبشرها.

وهنا **تبدو صعوبة أُخرى**. إذا كان **الملاك** لم يَقُلْ شيئًا للرَّجُلِ، فلماذا كتمت عنهُ **العذراء** ما كانت سَمِعَتْهُ مِنْ قَبْلُ ؟.

ولماذا لم تُزِل عنهُ **القلق** الذي لابُدَّ أنَّها أَحَسَّت **باستيلائه** عليه؟.

لكن أولًا لماذا لم يتكلَّم **الملاك** مع **يوسف** قبل أن يستولي **القلق** عليه؟.

لأنَّهُ من الضروري أنْ نَحِلَّ أوَّلًا السؤال الأول. لماذا إذًا هذا السكوت؟.

لكي لا يمتنع عن التصديق ولا يحلَّ به ما حَلَّ **بزكريا**. فمتى وقع الشيء تحت الحواس حينئذٍ يسهُل تصديقه. لكن متى كان غير بادٍ فيتعذَّر قبوله. ولهذا السَّبب لم يتكلَّم في بادئ الأمر. وهذا أيضًا هو سبب صمت **العذراء**، لأنَّها لم تكن تَظُنُّ أنَّ خطيبها يلتزم بأنْ يُصَدِّق حادثًا غريبًا لم يتحقَّق بعدُ، بل قَدْ تخافُ أنْ تثيرَ غضبه وتبدو كأنَّها تريد أنْ تخفيَ إثمًا ارتكبتهُ. وهي التي كانت مُهيَّأة لقبول نعمة عظيمة، كانت مع ذلك لم تزل تشعر بشيء بشري إذ كانت تقول: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» (لو١:٣٤)؟؛ بَلْ كيف لا **يرتاب يوسف** لا سِيَّمَا وأنَّ ما سَمِعَهُ جاء على لسان امرأة قد تجعل نفسها بذلك مُشتبهًا فيها.

٥ – فلهذه الأسباب لم تَقُل **العذراءُ** لهُ شيئًا. ولمَّا حان الوقتُ جاءَ **الملاكُ**. وَلَعَلَّكَ تقول لي: لماذا لم يسلك هذا المسلك مع **العذراءُ**، بل بشَّرها قبل الحَمْل؟- لئَلَّا تَقْلَقَ وتضطرب، إذْ كان يخشى عند جهلها للحَمْل أنْ تُسَوِّل لها نفسها إتيان عمل مُنكر، فَتُميتُ نفسَها إمَّا شنقًا أو ضربًا بالسَّيفِ تخلُّصًا من **العَار**. انَّها في الحقيقة **لعذراء مُدهشة** وقد وصف فضيلتها **لوقا** بقوله: إنَّها لمَّا سلَّمَ عليها **الملاكُ** لم يَهُزَّها الفرح، ولا تَسرَّعت في تصديق ما قيل لها، بل اضطربت وسألت: «مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا السَّلاَم!». فالمرأة التي تكون على هذه الحالة من الترصُّن لا يمكن إلَّا أنْ يستوليَ عليها **الغَمُّ** عندما تفكر في **العَارِ** الذي يلحقها. ولا أَمَلَ لها بأنْ تُقنع أحدًا ببراءتها التَّامة. فاجتنابًا لمثل هذه الأمور جاءها **الملاكُ** قبل **الحَمْل**. وقد كان مِنَ الواجبِ أنْ يكون بلا اضطراب ذلك المستودع الذي سيحلُّ فيه بارئ الكون، وأنْ تكونَ بعيدة عن **القلق** تلك النفس التي أُهِّلت لتكون خادمة الأسرار العظيمة. وهذا أيضًا ما حَدَا **بالملاكِ** إلى أنْ يُكلِّم **العذراء** قبل **الحَمْل**. على أنَّه لم يُكلِّم **يوسف** إلَّا بعد أنْ كانت قد حَمِلَتْ، الشيءُ الذي إذ لم يدركه كثيرون من ذوي الرَّوِيَّة: زَعَمُوا أنَّ هنالك اختلافًا بين الإنجيليَّيْنِ باعتبار أنَّ **لوقا** يقولُ: إنَّ **الملاكَ** خاطبَ **مريمَ**. ومتَّى يقول: خاطب **يوسف** غير عالمين أنَّ الأمرين كِلَيْهِمَا قد حَدَثَا. وهذا ما يجب أنْ يلاحَظ أيضًا في جميع التواريخ، فيتلاشى حينئذٍ كُلُّ ما يبدو أنَّ فيه تناقضًا. جاءَ **الملاكُ** إذًا فيمَا كان **يوسف** مُضطربًا، وقد أرجَأَ حضورَهُ إلى ذلك الحين للأسبابِ التي ذكرناها لتتجَلَّى حكمة **يوسف** بأكثر لمعانًا، ثم جاءَ أخيرًا عندما هَمَّ **يوسف** إلى تخلية **العذراء**.

«وفيمَا هُوَ مُفْتَكِرٌ بِذلِكَ إذا بملاكِ الرَّبِّ تَرَاءَى لِيُوسفَ في الحلْمِ». أترى اعتدال هذا الرجل فانَّهُ ليس فقط لم يُنزل بها العقاب، بل أيضًا لم يُفضِ بالأمر إلى أَحَدٍ حتى ولا إلى التي كانت **موضوع ريبته**. فكان

يتروَّى في داخله باذلًا جهدَهُ في أنْ يخفي عن العذراء نفسها أسباب ارتباكه. ولم يقل الإنجيليّ إنَّ يوسفَ أراد أنْ يطردها! إنَّما قال: «هَمَّ بِتَخْلِيَتِهَا». وهذا التعبير الأخير أرقُّ وألطف وهو يبيّن ما كان عليه هذا الرَّجل من الجودة والفطنة. «وفيمَا هُوَ مُفْتَكِرٌ بِذلِكَ إذا بملاكِ الرَّبِّ تَرَاءَى لِيُوسفَ فِي الحُلْمِ». ولماذا لم يَظْهَر له في اليقظة كما ظهر لزكريا وللرعاة وللعذراء نفسها؟. ذلك لأنَّ إيمانَ يوسفَ كان قويًّا جدًّا ولم يكن ليحتاج إلى هذا المشهد. أمَّا العذراء فبمَا أنَّها كانت مُعَدَّةً لسماعِ بُشرى عظيمة الشَّأْنِ تفوقُ بِعَظَمَتِهَا البُشرى التي تقبَّلَهَا زكريا، كانت تحتَاجُ إلى مشهدٍ غريبٍ كهذا. أمَّا الرعاة فَلِثِقَلِ فَهْمِهِمْ احتاجوا إلى هذا المشهد الرائع. وأمَّا يوسفُ، وإنْ تكُن نفسُهُ مُعَذَّبَةً بأَشَدِّ الرِّيَبِ (الشكوك) التي كانت تلوح له أنَّ كُلَّ شيءٍ يُؤَيِّدُهَا، فكان من السَّهل أنْ تعودَ إليه الآمال الطيبة إذا ظهرَ مَن يُرشده إلى معرفةِ ذلك السِّرّ. والواقع أنَّهُ اكتفى بوحيٍ بسيط؛ ولذلك فإذا كان المُرْسَل السَّماوي قد أتاه بعد أنْ كانت الظُّنون مستوليَةً على أفكاره، فلكي يُثبت في هذه الظروف نفسها حقيقة رسالَتِهِ. وبِمَا أنَّ يوسفَ لم يَبُح لأحدٍ بأمرِهِ، بل كان يُخفي كُلَّ شيءٍ في قلبه، فإذْ سَمِعَ الملاكَ يتحدَّث إليه عن ذلك السِّرِّ عَدَّ ذلك علامة لا ريبَ فيها تُنبئهُ من قِبَلِ الله الذي هو وحده عالم بهواجس القلوب. فانظر كم تجري أمور: حكمة الرجل تتجلَّى بوضوحٍ، وكلمة الملاك تجيءُ في أوَانِهَا لِتُثَبِّتَهُ في إيمانِهِ، وهذه الكلمة نفسها تبدو أنَّهُ غير مرتاب بها مُبيِّنة له، أنَّهُ لم يعانِ سوى ما كان يجب أن تُمْتَحَنُ به فضيلة إنسانٍ.

٦- لكن أيضًا كيف أقنعه الملاك؟. إسمع وانْذَهِل لحكمَةِ كلماتِهِ. دنا إليه وقال له: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ». لم يلبث أنْ ذكر اسم داود الذي سيولد منه المسيح. ولم يدعهُ في اضطرابه مُذَكِّرًا إياهُ عن طريق آبائِهِ بالوَعْدِ المقطوع للذُّرِّيَة كلِّها. فلماذا مع ذلك يدعوه: «يَا ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ». على أنَّ الله لم يصنع هكذا في ظروف أخرى، إذِ آستعمل التهديد الشَّديد ضِدَّ ذاك الذي أراد أنْ ينتَهِكَ حُرْمَة امرأة ابراهيم (أنظر تك ٢٠: ١-٣)، وإنْ كان الجهل هناك سائدًا على كُلِّ شيءٍ. لأنَّ المعتدي لم يكن يعلم من كانت سارة. إنَّ الله كان في ذلك العصر يعمد إلى الإرهاب، أمَّا هنا فيستعمل الحِلْمَ، لأنَّ ما كان يتمُّ من الأعمال كان من الخطورة بحيث لا يوجد له مثيل. وأنَّ بين الرجلين بَونًا بعيدًا. فلذلك لم يكن هنالك محل للإرهاب، فعند قوله: «لاَ تَخَفْ» يُبَيِّنُ أنَّ الصِّدِّيق يخشى أنْ يغيظ الله إذا مَا حفظ عنده امرأة زانية، ولولا ذلك لما فكَّر بتخليتها. فكُلُّ شيءٍ إذًا يدلُّ على أنَّ الملاكَ إنما جاء من السماء. لأنَّهُ يكشف ويُظهر أفكار يوسف وما يعانيه من قَلَقِ البال. ولم يقتصر على وصفها بالعذراء بل أضاف: «امْرَأَتَكَ»، على أنَّ هذه الصِّفة الأخيرة لم تكن لتُعطى لها لو كانت أثيمة. امرأة معناها هنا الزوج كما اعتاد الكتاب أن يدعو الخطيب صهرًا قبل الزواج. ما معنى هذه الكلمة «يَأْخُذ»؟ معناها يحتفظ بها في بيته لأنَّ يوسف كان خلَّاها بفكره. فكان الملاكُ يقول له: « إرجع عن عزمك واحتفظ بالمرأة التي يعطيك إياها الله وليس ذووها، وهو يعطيكها لا كزوج بل كوديعة مقدَّسة. وهذا العطاء إنما يكون بصوتي.»، وكما أنَّ المسيح جعلها فيمَا بعد تحت رعاية التلميذ الحبيب هكذا توجد الآن تحت رعاية يوسف. ثمَّ يشير الملاك إلى سبب الحَمْل إشارة خفيَّة. فانَّهُ لم يذكر التُّهمة الشنيعة بل أزالها بذكر السبب بتعبير أشرف وأليق مُبيِّنًا للرَّجُلِ الصِّدِّيق أنَّ ما كان يرهبه ولأجله كان يريد تخليتها إنما هو السبَب عينه الذي لأجله يجب أنْ يأخذها ويحتفظ بها في بيته. وعلى هذا النحو يزيل أسباب كُرْبِهِ – فكأنَّهُ يقول: ليس فقط انَّها بريئة من كُلِّ علاقة أثيمة، بل أيضًا إنَّها تحمل في داخلها ثمرة إلهيَّة. فلا تنزع منك الخوف فحسبُ بل آفرح فرحًا عظيمًا «لأَنَّ المولودَ منها إنَّما هُوَ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ». لعمر الحقِّ أنَّهُ لكلامٌ مدهِشٌ يفوق كُلَّ عقلٍ بشريٍّ ويسمُو عن كُلِّ ناموسٍ طبيعيّ. فكيف يُصدِّق هذه الأمور مَن لا خبرة له بها. إنَّه يُصدِّقها بسبب ما يُفضَى إليه به. فلذلك جعل الملاك يقول ما كان يجول في خاطر يوسف من هواجس وأشجان ومخاوف، وما أراد أنْ يُقدِم عليه، حتى يحمله على الإيمانِ بالسِّرِّ. ولم يقتصر على كشف ما سبق بل يحمله على تصديق ما سيكون فيمَا بعد. «فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتُسميه يَسُوعَ». فبما أنَّهُ من الرُّوح القُدُس فلا تظنَّ أنك لست ملتزمًا بأنْ تُعنى بهذا العمل الإلهي. وإذا كنت لا صِلَةٌ لك بأمْرِ المولِدِ فبإزاءِ عذراء بريئة من كُلِّ دَنَسٍ، يجب عليك أنْ تقوم بواجبِ الأب. إنِّي أسمح لك بأنْ تُعطي آسمًا للصبيّ على أنْ تَحفظ كرامة الوالدة. نعم إنك أنت تُسمِّيه، وإنْ لم يكن هو ابنُكَ، إنَّما يجب عليك أنْ تقومَ نحوه بما يجب على الأبِ نحو آبنه. فلذلك آمُرُكَ أنْ تحسبَ نفسك هكذا، وذلك عندما تُسمِّيه. وبعد ذلك فلكي لا يستطيع أحد أن يرتاب في أنَّ يوسف هو والد الصبيّ، لاحظ كيف يُدقِّق الملاك في التعبير إذ يقول: «سَتَلِدُ ابْنًا» ولم يَقُل: «سَتَلِدُ لَكَ» فجعل كلامه على الإطلاقِ، لأنَّ هذا الصبيّ لا يولد لفردٍ واحدٍ، بل لكُلِّ العالم.

٧- فلهذا السبب أتى الملاك بهذا الاسم من السماء مُبيِّنًا بجلاءٍ ما في هذا الصبيّ من عَجَبٍ، إذْ إنَّ الله نفسه وضع الاسم، وأنَّ ملاكًا يَحْمِلُهُ إلى يوسف من قِبَلِهِ (الله). إنَّ هذا الاسم ليس وليد الصُّدفة لا معنى له، وإنَّما هو كنز خيرات لا ينقص. فلذلك يُفسِّره الملاك نفسه. ولأجل تثبيتنا في الإيمان يعلِّق عليه آمالنا. وفي الحقيقة أنَّ ما يعدنا بالسعادة هو ما يجذبنا إليه بقوَّة، وهو ما نحبّ كثيرًا أنْ نصدقه. وبعد أنْ أكَّدَ له سُلطة كلامه بالأمور الماضية، والأمور المُقبلة، والأمور الحاضرة، مع ما له هو أيضًا من الكرامة، يُوسِّط النبيّ الذي جاء في الوقت المناسب ليُؤَيِّد كل هذه الأمور. وقبل أنْ يُدلي بشهادَتِهِ يُبشِّر بالخيرات المقبلة التي سيحوزها العالم بهذا المولود. وما هي هذه الخيرات؟ هي النجاة من الخطايا، وتدميرها، فلذلك يقول: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». يبدو أنَّ في ذلك ما يدعو إلى الدهشة. إنَّهُ يُبَشِّرُ بأنَّ الشَّعب سينجو، لا من حروب ماديَّة، ولا من تسلط البرابرة، لكن من **خطاياهم**. وهذا عملٌ خطيرٌ لم يسبق له نظير في العصور الخالية. ولعلَّه يُقال: لماذا حصر قوله بشعبه ولم يضف إليه بسائر الأمم.- لكي لا يُفاجئ مستمعيه بأمرٍ لم يَأْلَفُوه. على أنَّ المستمع المُدَقِّق لا يفوته أنَّ لفظة شعبه، **تشمل الأمم أيضًا**. ■

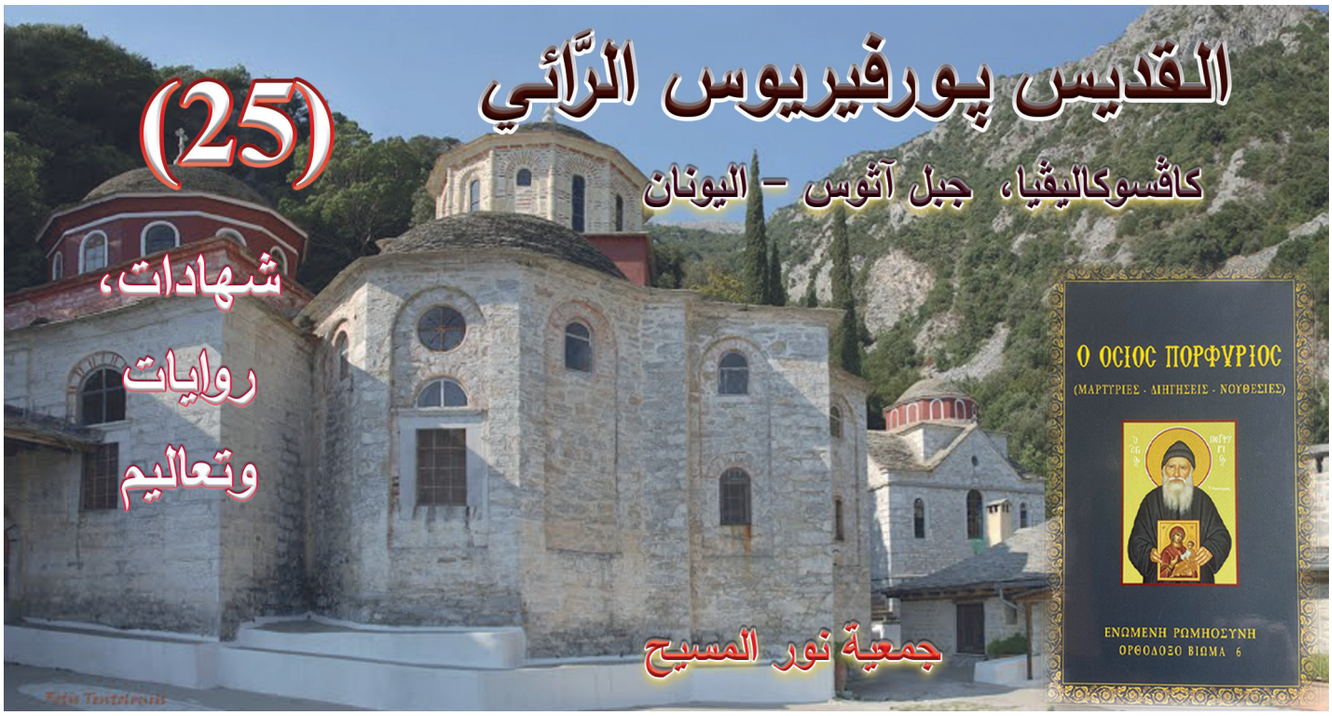

٨ – أَقَلُّ ما يُمكن عن القديس پورفيريوس:

شهادة السيِّدة سوتيراس نوسي:

إنَّ **سيرة القديس** ومواهبه هي معروفة من الكُتبِ المختلفة المختارة التي قد تمَّ اصدارها عن **البارّ شيخنا پورفيريوس** ، لكن بسبب واجب الطاعة، سأنقل لكم أقلّ ما يمكن من الخبرات الرُّوحيَّة، والذكريات **لشيخنا البارّ**.

✝ خلال الفترة التي كان مقيمًا فيها في **كاليسيا**، في (**أُمطوش أو أُنطوش**) **دير البنديلي، في أحد الأديار الصغيرة، للقديس نيقولاوس**، فكُنَّا نزوره بسبب روعة وخشوع القداديس الإلهيَّة والسهرانيَّات التي كان يقيمها حوالي سنة **١٩٧٤**، (ولغاية **سنة ١٩٧٩** عندما استقرَّ في مِيليسي في بيت متحرِّك (**حافلة متحرّكة – Caravan**)، حتى تمَّ تأسيس **كنيسة التجلِّي** في هذا المكان (ميليسي) في **١٩٩٠/٢/٢٦**)، هاتَفَني أحد أقاربي (من أولاد عمومي) وهو صاحب **لقب بروفيسور في علم الفيزياء**، أخبرني: أنَّه يمرُّ في بعض **المشاكل العويصة**، وبما أنَّه سَمِعَ الكثير عن سيرة **الشيخ پورفيريوس**، فقد ناشدني متوسِّلًا – إنْ كان بمقدوري – أنْ أُحَدِّد له لقاء مع **الشيخ پورفيريوس** في ميليسي حيث يسكن هناك؛ وبالفعل فقد نجحَت مساعينا، وأتى ٱبن عمِّي البروفيسور إلى منطقة بَنديلي الجديدة إلى بيتي. وقد صَدَفَ في تلك اللحظة، أنها كانت بالقرب مني شابَةٌ من معارفي المقربين.

المجدُ للهِ، ذهبنا كلُّنا ووجدنا **الشيخ**، خاطبته بالبداية، من باب اللطف واللباقة، أنْ يستقبل ابن عمِّي (قريبي)، وبعدها الصبيَّة وهي من معارفي.

لكن قريبي هذا كانت عنده أفكارٌ من الشَكِّ في مدى صحَّةِ موهبة **الشيخ** الفعليَّة، فدَخَل إلى القلاية والأفكار تتصارع في مخيَّلَتِهِ، ولكن **الشيخ** من خلال النعمة والموهبة التي يتحلَّى بها، فَهِمَ وبسرعة ما يجول في خاطِرِ زائِرِهِ؛ فدار بينهما هذا الحوار:

✝ ما هو ٱسمُكَ، ومن أينَ تنحَدِر ؟

• إنِّي مِنْ إحدى القُرى، خارج **مدينة ايوانينا**.

✝ يا لها من منطقة ساحرة!، يا للكنائس الصغيرة الرائعة!

• بالفعل، عندنا كنيسة كبيرة، وكنيستان صغيرتان.

✝ لا، عندكم ثلاث كنائس صغيرة.

• لا ، أيُّها **الشيخ**، فقط عندنا كنيستان صغيرتان .

✝ وتلك الكنيسة الصغيرة الموجودة هناك في الجبل، أَلَا تتذَكَّرها؟

• أجَل أيُّها **الشيخ**، أعتذر، معكم كُلُّ الحقِّ، هل زُرتم قَريتي من ذي قبل؟.

✝ لا، لم أَزُرْ قريتكم على الإطلاق، لكنِّي أراها.

ـ هذا الحوار، كان كافيًا لجعلِ قريبي مقتنِعًا بمواهب **الشيخ**، وأنْ يفتحَ له قلبَهُ، وأنْ يخرجَ من قلَّايَتِه لاحقًا وقد ارتسمت على وجههِ تعابير **الأنذهال**، والضياع بشكلٍ أو بآخر.

الأمر ذاته حدثَ مع الصبيَّة التي من معارفي...

وبعدها طلبَ مني **الشيخ** أنْ أدخلَ إلى القلَّاية لمُقابَلَتِهِ.

ـ خاطَبَني كما لو كنتُ ابنَتَهُ الرُّوحيَّة، عِلْمًا أنَّني منذ زمنٍ طويل، كانت زياراتي له، تتمحوَر حول حضور القداديس الإلهيَّة والسهرانيّات فقط. كان كُلُّ ما كشفه لي رهيبًا، لكنَّهُ في الوقتِ ذاته أظهَرَ لي حنانًا كبيرًا ومحبَّة صادقة، ومنذ ذلك الحين أصبح لي **أبًا روحيًّا، وشيخًا حبيبًا**.

وعندما استَقَرَّ لاحقًا في ميليسي، **ساعدني المسيح ربّنا** (مسيحنا) فكنتُ أذهب إلى القداديس الإلهيَّة، لكي أُقابله بشكلٍ خاص أو مع بعض الأشخاص المعروفين.

ـ في إحدى المرَّات، طلب منِّي **أحد رؤساء الكهنة** (**ما يزال حتى اليوم مطرانًا «٢٠١٧»**)، قائلًا لي: إنَّه من الضروري بمكان، أنْ أقابلَ **الشيخ پورفيريوس** بسبَبِ موضوعٍ مُهِمٍّ وجَدِّي للغاية، ولكنِّي لا أرغب أنْ

يسمعَ أو يعرفَ الآخرون بالزيارة، لهذا لا أريدُ أن آتي **بسيارة المطرانيَّة**، هل نستطيع الذهاب معًا؟

ـ فأجبتُهُ للحالِ، بالطبعِ نعم.

وفي اليوم التالي، أَخذنا مع أحد الأشخاص المُدَرِّسين، والمُمَيَّزين، **صاحب السيادة** بسيارة رسميَّة، (وهنا أذكر ما بين قوسين أنِّي قلتُ للشيخِ في إحدى المرَّات: بأن أشتري سيارة، فأجابني بشكلٍ قاطِعٍ: لا، لا تشترِ سيارة، وسوفَ لن تكوني بحاجَةٍ إليها عندما تحتاجين للتنقُّل!) وبالفعل وَبِصلواته، هكذا صار، وما زلتُ بدون سيارة، المجد والشكر للهِ.

ـ عندما وصَلنَا إلى قلَّاية **الشيخ**، دخَلَ **رئيس الكهنة** إلى القلَّاية وَحْدَهُ، فتحدَّثَ لوقتٍ كافٍ مع **الشيخ**. عندما أنتهَيَا، ناداني رئيس الكهنة حتى نأتي إلى القلَّاية، بقينا لبعض الوقت، تبادلنا فيها بعض أطراف الاحاديث العاديَّة، وإذا رأيتُ **الشيخ** مستلقيًا على سريره، وقد تحدَّثَ مع رئيس الكهنة لوقتٍ طويل وبصبرٍ جميل، أشفقتُ عليه، وقلتُ له: « أيُّها الشيخ، أترغبون أن أُنادي اليورُنديسا أُختَكم حتى تُجَهِّزَكَ، وأن نمضي معًا في جولة للمسير حتى شاطىء البحر ونَتَنَشَّق نسيم البحر النقي العليل.»

ماذا قُلْتِ؟، فكررتُ كلامي ثانيةً، فَكَّرَ قليلًا، ثمَّ قال: نعم إنَّك مُحِقَّةٌ. إِدْعِي **اليورنديسا** حتى يجهِّزوني لكي نمضي معًا؛ الأمر الذي حصَلَ بالفعل. فذهبنا إلى موضعٍ رائعٍ بالقربِ من شاطىء البحر، وبقينا هناك لوقتٍ كافٍ تاركين أبواب السيارة مفتوحة، وتحادثنا مع رئيس الكهنة لوقتٍ كافٍ، إلى أنْ حانَ وقت عودتنا.

في طريق العودة فكَّرتُ: لقد تخاطَبَ مع رئيس الكهنة لوقتٍ طويل عن مواضيع كَنَسِيَّة، وأُخرى مختلفة، فلنتحدَّث عن أمرٍ سيُعطيهم بعض الفرح، فقلتُ: « أيُّها الشيخ إنَّ السيِّد ديونيسيوس يمتلك صوتًا جميلًا، ويعرف العديد من الأغاني الوطنيَّة النادرة ومنها **أناشيد الموراليتيكا** وغيرها؛ فهل نطلب منه أن يغنِّي بصوتِهِ الشجيّ الفخيم.» مَضينا ببطءٍ قدر الإمكان حتى نسمع أكبر عدَدٍ ممكن من الأغاني، تحمَّسَ **الشيخ** قائلًا: براڤو يا ديونيسيوس، قُل لنا غيرها، وبالفعل غنَّى لنا الكثير، وغنَّى الأغنية الشهيرة «**سَپيني**»، إنِّي أُعجبتُ بترتيلك: «أيُّها العصفور الهدهد، إنِّي مُعجب بصوتِكَ».

ـ عندما قابلتُ **الشيخ** في مرَّةٍ أُخرى، قال لي: « لقد فَرِحتُ في ذلك اليوم عندما ذهبنا بالقربِ من شاطىء البحر مع المطران، وفرحتُ أكثر بسماع أغاني ديونيسيوس!»، «فقلتُ له: أيُّها الشيخ أتُريدون أن أطلب منه تسجيل كُل هذه الأغاني التي سمعناها في ذلك اليوم، وأن يجلبها لنا في شريطٍ مُسَجَّل حتى تسمعوها عندما تكونون لوحدكم.»

فأجابني للحال: «بالطبعِ أُطلبي منه، لكن انتظري للحظة، عندما يغنِّي للعصفور (الهدهد) قولي له: ألَّا يقول العصفور (الهدهد) وإنَّما أيُّها العندليب، لأنَّ الهُدهد لا يُغَنِّي بحلاوة وجمال شَدو العندليب !».

ولغاية هذا الوقت، فإنَّ صاحب السيادة، يروي لنا عن **الشيخ القديس بورڤيريوس** ليس فقط ما عاشه من لحظات مقدَّسة معه، وإنَّما حتى اليوم، حين يمرُّ بمأزق ما، أو حينما يَلِمُّ به مرَضٍ، كما حدث في الفترة الأخيرة، فقد طَلَبَ مَعونَتَهُ بأَلَمٍ، فَشعَرَ للحالِ بحضورِهِ الحيّ وبشكلٍ قوّي، ولاحقًا بتدخُّلِهِ الطِّبي، وهو يشكره بدموعٍ سخيَّة.

في أحد الأيام بدأ **البَلاط** الذي يُفرش أرض القصر يتحدَّث إلى **قطعةِ الرُّخام** التي تنتصب كتمثال في أحد **أركان القصر**، فقال: لماذا يدُوس البشر فوقي وأنت تنتصب مزهوًا بجمالك، وكلُّ إنسان ينظر بإعجاب إليك؟!! وتابع يسأل: كلانا من نفس الطينة، فلماذا يعاملك الناس بطريقة أفضل مما أُعامَلُ؟!! أليس هذا **ظُلمًا** ؟!!.

ردَّ التمثال الرُّخامي: يا صديقي البَلاط، هل حقًّا مازلتَ تذكر بأنَّنا جئنا إلى هنا من نفس الطينة والمنبت؟!!

قال البَلاط: بالطبع أذكر، ولهذا أقول: بأنَّهُ ليس عدلًا أنْ نُعامَل بطريقة تختلف! **ثم أجهش في البكاءِ**.

فردّ تمثال الرُّخام: إذن، يجب أنْ **تذكر** اليوم الذي أتى به النَحَّات كي ينحتنا وأنت أبيتَ أنْ تكون مَرِنًا، فالقى بِكَ جانبًا!.

قال البَلاط: نعم أذكر، وأكره جدًّا ذلك الشَّخص الذي يضربنا بأدواته، إنَّ ضربه مؤلم جدًّا!

رَدَّ التمثال: هذا صحيح، ولهذا السبب **تركتك** جانبًا!

فقال البَلاط: وأينَ الخَلَلُ في أنْ أقاومه؟!!

فردَّ التمثال: عندما ألقاك الفنان جانبًا أدركتُ بأنَّني يجب أنْ أكون مَرِنًا وأتحمَّل ضرباته، علَّه يصقلني ويحولني إلى شيءٍ جميل.

تنهَّد البَلاط معترفًا: نعم تلك هي الحقيقة!

فتابع التمثال الرُّخامي: يا صديقي البَلاط، لكل شيء في الحياة ثمنه، عندما رفضتَ أنْ تتحمَّل ضربات النَحَّات تحولت إلى **بَلاط**، وسمحت لغيرك أنْ يدوسَ فوقك!

عزيزي القارئ: تلك هي الحياة، دائمًا تصقُلنا الضربات وتُظهر جوهرنا، ولذلك عليك أنْ تتحمَّل ضربات الزَّمن، كي تصل إلى المكان الذي تَبغيه، وإلَّا لنْ يكون لك شأنٌ يُقَدِّره الناس وينظرون إليه بآحترام.

الذي يقبل أنْ يتحمَّل ضربات الحياة، سيقف شامخًا كالتمثال الرُّخامي، ولنْ يتمكن أحدٌ من أنْ يدوسَ فوقَهُ. «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا.» (رو ٨: ١٨).

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

مقدمه: في هذه العظة يقدِّم **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**، براهين وإثباتات واضحة كلَّ الوضوح تُؤكِّد على **أنَّ المسيح هو الله الظاهر في الجسد**، متوجِّهًا لليهودِ والأُمم، مُستشهِدًا بما قاله **الأنبياء** في مواضع كثيرة. أي أنَّه يستخدم الكثير من نصوص **العهد القديم**، مُقدِّمًا الدليل تلو الآخر، للتأكيدِ على **أنَّ المسيح هو الله**، وأنَّ مجيئه إلينا على الأرض، قد سَبَقَ **الأنبياء** وأخبروا بهِ. وهذه النصوص التي يستشهد بها. لا تتنبَّأ فقط عن **مجيء المسيح**، بل والطريقة التي تَحَقَّقَ بها هذا المجيء، والتفاصيل الكثيرة عن حياتِه، وتعليمه، وآلامه. **العظة** تُمَثِّل بالحقيقة رسالة واضحة مبنيَّة على حقائق ثابتة بأقوالِ **الأنبياء**.

يقول **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**: لأنَّ كثيرين من الناس باتوا **كَسَالى**، البعض منهم هو هكذا بالطبيعة، والبعض الآخر قد ٱبتلعته ٱهتمامات وانشغالات الحياة اليوميَّة، والبعض الآخر أيضًا إذْ يسود عليهم **الجهل**، لا يستطيعون أنْ يحتملوا الحديث المُطوَّل. فقد وَجَدْتُ أنَّهُ من الضروري أنْ أُخفِّف من عنائكم، وألَّا أُطيل حديثي، حتى أتغلَّب على تراخي الكسَالَى، من خلال تلخيصِ حديثي واختصاره، وأنْ أُقنِعَ أولئك الذين ليس لديهم دافعًا للقراءة، بِأَنْ يستمعوا للحديث الذي سأتَكَلَّم فيهِ برغبة كبيرة ونيَّةٍ صادقة. لذلك لن أُزيِّن حديثي بعبارات جميلة، وكلمات بَرَّاقة، بل سأستخدم الكلمات بوضوح، حتى تكون بسيطة، وسهلة الفهم، بأفضَل ما يكون بالنسبة لعمل الخادم، والخادمة، والأرملة، والتاجر، والبَحَّار، والفلَّاح. أيضًا سأُحاول أنْ أختصرَ حديثي الطويل قدر الامكان، بكلمات قليلة، فاتحًا شهيَّة كُلِّ واحد مِنَ السَّامعين المتوانين، ليفهموا ما سأقولُهُ بسهولة، دون أيِّ تعب أو عناء، حتى تُصبح هذه الكلمات **مُلكًا لهم**، ومحفورة في ذاكرتهم؛ وسأبدأ **الصِّراع أولًا ضدَّ الأُمم**، لأنَّه لو تَصَادَفَ وتَساءل **الوثني**: من أينَ يمكن **إثبات أنَّ المسيح هو الله**؟ هذا بالطبع يجب أنْ نضعه أوَّلًا كأساسٍ، لأنَّ كُلَّ الأمور الأخرى تتبعها، ولن أبحث عن البُرهانِ مَن السَّماء. وإن قلتُ له: **إنَّه هو الذي خَلَقَ السماء والأرض والبحر**، **فلن يقبل**؛ وإن قلتُ له: **إنَّه أقامَ الموتى، وفَتَّحَ عيون العميان، وأخرَجَ الشياطين**، فلن يقبل هذه أيضًا. وإن قلتُ له: **إنَّه وَعَدَ بملكوت السموات، وخيرات لا حصرَ لها، وإنْ حَدَّثتُهُ عن القيامة**، فإنَّهُ ليس فقط لن يقبل، بل **وسيسخَر**. إذًا كيف سَتَقُودُهُ إلى الإيمان **بأنَّ المسيح هو الله**، خاصَّةً إن كانَ **عاميًّا وبسيطًا**؟ ليس من موضع آخر، **سوى تلك التي نقبلها نحنُ**، وهو دون صعوبات أو اعتراضات، أي من تلك النصوص التي لا يُمكِن الشَكُّ فيها.

فلو أنَّني وضعتُ أمامه أنَّه **خالق السَّموات**، وكُلُّ الأكوان الأخرى كما قلتُ سابقًا، ما كان له أنْ يقتنع بسهولة. إذًا ما هي تلك العناصر التي يقبلها، والتي تقول: **إنَّ المسيح هو خالق كُلِّ شيء**، والتي تجعله **لا يُبدِي أيَ اعتراض**؟ **إنَّ المسيح خَلَقَ الحياة الجديدة للمسيحيِّين المولودين بالرُّوح**، وبالطبع لن يرفض هذا، بمعنى أنَّهُ جَمَّعَ الكنائس في كُلِّ المسكونة (في الكنيسة الجامعة)؛ إذًا الآن ومن خلال هذا، سنُقدِّم الدليل والبرهان على **قدرته وقوّته، وسَنُثبت بأنَّه هو الله**، وأنَّه من غير الممكن لإنسان بسيط في هذا الوقت المحدود، أنْ يجوب كُلَّ المسكونة في البَرِّ والبحر، وأنْ يجذبَ إليه أُناسًا كثيرين، كانوا **مُقَيَّدين بعادات سيِّئة، بل وبالأكثر مملوءين بشرورٍ كثيرة**، ومع ذلك استطاع **أنْ يُحَرِّرَ** كُلَّ جنس البَشَر، ليس فقط **الرُّوم والفُرس**، بل وكُلِّ **شعوب البربر** بشكلٍ عام. وقد حقَّقَ كُلّ هذا، دون أنْ يستخدم أسلحة، أو يُنفق أموالًا، ودون أنْ يكون له جيشٌ، ولا شَنَّ حروبًا، بل **بأحَدَ عشر تلميذًا فقط**، مجهولين لا شأنَ لهم، جُهَّالًا، عاميِّين، فُقراء، متجَرِّدين، بلا سلاح، بلا أحذية، وملابسهم بالية. ماذا أقول: **مَن الذي يمكنه تحقيق كُلَّ هذا؟** لقد استطاعَ أنْ يُقنع أُممًا كثيرة، بألَّا ينحصر تفكيرهم في هذه الحياة الحاضرة فقط، بل في حياة الدهر

الآتي، وأن يُعَلِّم بالابتعاد عن الطريق السَهل، ووجوب السلوك في **الطريق الضَيِّق**، وأنْ يُتَمِّم كُلَّ هذا، بينما حارَبَهُ الجميع، واحتَمَلَ الصَّلب المهين، والموت المُخزي. وبالطبع لن يرفضوا أنَّهُ صُلِبَ من قِبَل **اليهود**، وأنَّه عانى منهم شرورًا لا حَصرَ لها، وبالرَّغْمِ من كُلِّ ذلك، **فإنَّ تعليمه يتقدَّم ويرتقي كُلَّ يوم**.

والعجيب أنَّ هذا التعليم لم يزدهر هنا فقط، بل لدى **الفُرس** أيضًا، وحتى اليوم لازالوا يُحاربون تعليمه. الآن يوجد عددٌ كبيرٌ من **الشهداء** مِنَ الفُرسِ، وأولئك الذين كانوا **أكثر وحشيَّة من الذئاب**، **قَبِلُوا تعليم الإيمان، وصاروا أكثر وداعة من الحملان، وَسَعوا إلى خلاص نفوسهم**.

وقد تحقَّقت كُلّ هذه الإنجازات، ليس فقط في المدن، بل وفي الصحراء، وفي القُرى، وفي البُلدان، وفي الجُزر، وفي المراسي، وفي الموانئ. وليس فقط أناس بُسطاء، أو قادة، بل أيضًا **ملوكٌ** قد خضعوا بإيمان كبير **للمصلوب**.

المسيح هو الله

رئيس السَّلام:

والآن سأُحاول أنْ أُبَرهِنَ على أنَّه ليس فقط أنَّ كُلَّ هذا قد تَمَّ، بل وقد **تَمَّ التنبُّؤ** بِهِ منذُ زَمَنٍ بعيد. لكي لا يكون لديكم أيُّ شَكٍّ، حتى ولو كان بسيطًا، فإنَّني أرَى أنَّهُ من الضروري **أنْ استشهِدَ بِكُتُبِ اليهودِ الذين صَلَبُوا المسيح**، وها هي الشواهِد من الأسفارِ المقدَّسة، والتي يحفظها هؤلاء **بِكُلِّ وقار** حتى الآن، وأنْ أفحصها أمام عيون أولئك الذين **لا** يُؤمنون. فمن حيثُ أنَّ **الله صارَ إنسانًا**؛ بالرَّغمِ من أنَّهُ **الله**، فهذا ما يقوله **إرمياء النبيّ** أوَّلًا:

«هذَا هُوَ إِلهُنَا الذي لا مَثيلَ له (**وَلاَ يُعْتَبَرُ حِذَاءَهُ آخَرُ**). هُوَ وَجَدَ طَرِيقَ الحِكمة (**التَّأَدُّبِ بِكَمَالِهِ**) وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبَ عَبْدِهِ وَلإِسْرَائِيلَ حَبِيبِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَرَاءَى عَلَى الأَرْضِ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الْبَشَرِ.» (باروخ ٣:٣٦-٣٨).

أرأيتَ كيفَ أنَّهُ بواسطة كلماتٍ قليلة، قد أوضَحَ كُلَّ هذا، وأنَّهُ بينما هو **الله، صارَ إنسانًا** وخالَطَ البَشَرَ وعاشَ بينهم، وأنَّهُ هو ذاته **مُشَرِّعُ العهد القديم**؟ يقول: «وَجَدَ طريق الحكمة، وأعطاها ليعقوب وإسرائيل حبيبه». هنا يُبَيِّن بأنَّهُ قَبْلَ حضوره في الجسد (قبلَ التَجَسُّد)، كان يحكم وَيُدَبِّر كُلَّ شيء، أوجَدَ نواميس، كان يَنظُر ويهتمُّ بكلِّ شيءٍ، ويصنع إحسانات كثيرة.

إسمع الآن كيفَ يتكلَّم **نبيٌّ** آخر، ويقول إنَّهُ ليس فقط سيصير إنسانًا، بل سيولَد **من عذراء**: «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (أش ٧:١٤). وهذا الاسم معناه : «**الله معنا**». وبعد ذلك، ولكي يُبَيِّن بأنَّ هذا الحَدَث (أنَّ الله صارَ إنسانًا) ، ليسَ حَدَثًا خياليًّا، بل حقيقيًّا، أضافَ قائلًا: «لأنَّهُ قبل أن يعرف الصبي أنْ يَرفُضَ الشَّرَّ، ويختارَ الخيرَ تُهجَر الأرض.» (أش٧:١٤الترجمة السبعينيَّة). وبالأضافَةِ إلى أنَّهُ ليس فقط قد **صارَ إنسانًا**، وأنَّهُ وُلِدَ **من عذراء**، بل أيضًا أتَى من نَسلِ **داود**، إسمع كيفَ تَنَبَّأَ **إشعياء** بذلك، مُستخدِمًا صُوَرًا رمزيَّة، وكلماتٍ مجازيَّة، يقول: « وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.» (أش١١:١-٢). **يَسَّى** هذا كان والد **داود**، إذًا فمن الواضح جدًّا أنَّه أتَى من هذا النسل، من جذع **يَسَّى**، هذا ما تَنَبَّأَ بِهِ، قائِلًا: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى». بالطبع هو لا يتحدَّث عن غصن حقيقي، بل يقصد **المسيح**، ومملكَتَهُ، ومن حيثُ أنَّهُ لا يتكلَّم عن غُصن حقيقي، فهذا قد أظهره بقوله: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ » (إش١١:٢). ولا يوجد أحدٌ، حتى وإن كانَ **غَبِيًّا** يزعم أنَّ نعمة روح **الله**، ستَحلُّ فوق فرع شجر، بل الواضح كُلَّ الوضوح بأنَّ الذي أتَى إلى ذهن **النبيّ**، **المسيح** الذي بلا **خطيَّة**، لذلك لم يَقُل: «**سيأتي روح الرَّبّ**»، بل: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ». لأنَّه عندما أتَى **الرُّوح** ظَلَّ هُنا ولم يرحَل، وهذا ما أعلنه **النبيّ يوحنا المعمدان**، قائلًا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ» (يوحنا ١:٣٢).

ولم يَخْفِ اليهود رأيهم بمُجرَّد أنَّه وُلِدَ **المسيح**، فيقول **القديس متَّى** البَشير: «فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ.» (متى ٢:٣).

إسمع الآن كيفَ تَنَبَّأَ **إشعياء** بذلك قائِلًا: «مَعَ كُلِّ ثوبٍ مُلَطَّخ بالدِّمَاءِ، أحرقتها مَأْكَلًا لِلنَّارِ.لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ.» (إش ٩:٥-٦ الترجمة السبعينيَّة). مِنَ الواضِح إذًا، حتَّى بالنسبَةِ للنَّاسِ الذين يرغبون بِشِدَّةٍ في النزاعِ والجدال، أنَّه لا يستطيع أحدٌ أنْ يقول: إنَّ هذا الكلام ينطبق على إنسان، طالما أنَّهُ لا يوجَد أحدٌ بين البَشَر، قد دُعِيَ إلهًا قَديرًا، ولا رئيس السلام، منذ أنْ خَلَقَ **الله** العالم. وأيضًا يقول: « لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ» (إش٩:٧). طبيعة الأمور ذاتها، توضِح ذلك، أنَّهُ عبر كُلِّ الأرض، كُلِّ البحر، كُلِّ مكان معمور، وكُلِّ مكان غير معمور، جبال، منخفضات، ومرتفعات؛ ومن ذلك اليوم الذي قرَّرَ فيه أن يَصعَد إلى السماء، قال لتلاميذه: «سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا.» (يوحنا ١٤:٢٧).

لماذا تكلَّم **المسيح** هكذا؟ لأنَّ سلام البَشَر، من السهلِ أنْ ينقَضِي ويَتَبَدَّد، وخاضع لِتَحَوُّلات كثيرة، أمَّا سلام **المسيح**، فهو سلام حقيقي وأكيد، غير مُتَحوِّل، راسخ، ودائم، وليسَ له نهاية، حتى وإنْ شُنَّت حروب كثيرة من كُلِّ جانب، أو نُصِبَت لنا شِراك لا حدودَ لها. لكن **كلمته** التي تُحَقِّق كُلَّ شيء، تُحَقِّق أيضًا هذا السَّلام.

النعمة انسَكَبَت على شَفتيه:

ولم يتنبَّأوا فقط، بأنَّهُ سيصير إنسانًا، بل تَنَبَّأوا أيضًا بطريقةِ حُضورِهِ، لأنَّهُ أرادَ أنْ ينزل إلى أرضِنَا دون إبهار، ودونَ أنْ يُلقِي صواعِق من السَّماء، ودونَ أن يُحدِث زَلازل على الأرض، أو يَرُجَّ السَّماء، ودون أن يُحدِث أيَّ مفاجأة، بل في هدوء، ودونَ أن يعرف أحدٌ، وُلِدَ في

بيتٍ حقير وفقير. إسمع ماذا قال **داود النبيّ** الذي لم يصمت عن ذلك أيضًا: «يَنزِل مثلَ النَّدى على الجزّة» (مزمور ٧٢:٦)، موضِحًا بذلك سُكونَهُ، وَهُدُوءَهُ. وليس هذا فقط،بل يُقَدِّم وداعته، وإحساناته التي أظهرها للبشر.

إنتبه ماذا يقولُ **نبيٌّ** آخر، عندما أهانوه، وبَصَقوا عليهِ، واستهزَؤا به، وجلدوهُ، وفي النهايةِ صَلَبُوهُ، إلَّا أنَّهُ لم يُدافع عن نفسِهِ في مواجهة مَنْ عَذَّبوهُ، بل على العكس من ذلك، فقد احتَمَلَ كُلَّ هذا بطيبِ نفسٍ ووداعة، أي الإهانات، والشُّرور، والغضب، وظُلم أولئك النَّاس، وافتراءهم عليه. كلُّ هذا أوضَحَهُ، قائلًا: «قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ (للأُمم)» (أش٤٢:٣).

نبيٌّ آخر يشير إلى مكان ولادتِهِ، قائلًا: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحَمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (ميخا ٥:٢). هذا قد أَظهَرَ **الطبيعة الإلهيَّة، والطبيعة الإنسانيَّة للمسيح**، لأنَّه بِقَولِهِ إنَّ وجوده منذ الأزل، فهو يوضح وجود **المسيح** السابق على الأزمنة، أمَّا عندما يقول: «الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ»، فإنَّه يوضِح **ولادته حسب الجسد**.

إنتبه أيضًا **لِنُبُوَّة** أُخرى تُشرق في هذا السياق، بمعنى أنَّهُ لم يَقُل فقط إنَّهُ سيُولَد، بل ومكان ولادتِهِ سيكون معروفًا، حتى وإن كانَ زهيدًا، وبَسيطًا، وصغيرًا «وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحَمَ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا» (متى ٢:٦)، هكذا هو مكتوبٌ **بالنبيِّ**.

والآن تركُضُ المسكونة كافة، لرؤية **بيت لحم**، هناك حيثُ وُضِعَ، عندما وُلِدَ، وهُم يذهبون إلى هناك لهذا السبب فقط. و**نبيٌّ** آخر يتنبَّأ عن الزمن أو العَصر الذي سيظهر فيهِ على الأرض، إذ يقول:

«لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ.» (تكوين ٤٩:١٠-١٢).

لاحِظ كيفَ تحقَّقت هذه **النُبُوَّة**، لأنَّهُ ظَهَرَ آنذاك، عندما لم يَكُن هناك **رؤساء لليهود**، وكانوا تحت **سُلطان الرُّومان**، وهكذا تمَّت النُبُوَّة التي تقول: «لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا السُلطان من صُلبِهِ إلى أنْ يتبوَّأ في شيلوه»، ويقصد **المسيح**. وعندما وُلِدَ، صارَ أوَّل إحصاء للشعبِ في العصرِ الَّذي انتَصَرَ فيه الرُّومان على اليهود، وقادوهم تحت نير مملكتهم. وشيءٌ آخرُ تعنيه هذه الكلمات: «ولهُ يكون خضوع الأمم» ، لأنَّه عندما أتى (وُلِدَ) جذَبَ إليهِ جميع الأمم؛ وفيما عدا ذلك، فإنَّ **هيرودس**، أرادَ أنْ يقتُلَ كُلّ الأطفال الذين وُلِدُوا هناك (في تخوم بيت لحم)، طالبًا **المسيح** المولود.

أيضًا لم يصمت **الأنبياء** عن ذِكرِ هذا، بل منذ سنواتٍ بعيدة، **تَنَبَّأوا** قائلين: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ، بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلاَدِهَا لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ.» (إرميا ٣١:١٥).

ومن حيثُ أنَّهُ يأتي من مِصْرَ، هذا أيضًا **تَنَبَّأوا** عنه: «وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هوشع ١١:١).

وعندما أتى إلى أماكن معروفة، راغبًا في أنْ يُجري مُعجزات في الحالِ، وأنْ يُعَلِّم، فهذا أيضًا **تَنَبَّأوا** بهِ، إسمع ماذا يقول **إشعياء النبيّ**:

«أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي، يُكْرِمُ الأَخِيرُ طَرِيقَ الْبَحْرِ، عَبْرَ الأُرْدُنِّ، جَلِيلَ الأُمَمِ. اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ.» (أش ٩:٢). إنَّهُ يُعلن بهذه الكلمات، مجيئه على الأرض، واستنارتهم بواسطة الآيات والمعجزات التي صنعها. بعد ذلك يَصِف مُعجزات أُخرى، ويوضِح كيف أنَّهُ شَفَى عُرجًا، وفَتَّحَ عيون العميان، وجعل الخُرس يتكلَّمون، يقول:

«حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ الْعُمْيِ، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ» (إش ٣٥:١-٢)، الأمر الذي لم يحدث قطُّ، إلَّا حينَ أتى **المسيح** إلى أرضِنا. وقد أورَدُوا بعض المعزات على وجه الخصوص. فقد أتَى ذات مرَّة إلى الهيكل، والأطفال التي كانت بعد ترضع، ولم يَصِلُوا إلى مرحلة التكلُّم، سبَّحُوا مع الشعب، بتسابيح مقدَّسة، قائلين: «مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (متى ٢١:٩). هذا عينه ما **يَتَنَبَّأ** به قديمًا قائلًا: «من أفواه الاطفال والرُّضَع أَسَّستَ حمدًا بسببِ أضْدَادِك، لتسكيتِ عَدُوٍّ ومنتقم» (مزمور ٨:٢). أرأيتَ كيف أنَّ **طبيعة الطفولة** قد صارعت وتجاوزت ذاتَهَا، وكيف أنَّ هذا العمر البريء، والذي لم يبلغ مرحلة الكلام بعدُ، استطاعَ أنْ يُمَجِّد **الخالق**. أرأيتَ كيف قبلوا الكرازة الرسوليَّة؟

وعندما كان يتكلَّم مع اليهودِ، كثيرًا ما تحدَّثَ عن الجحود، وعادَةً ما كان يتكلَّم بطريقةٍ رمزيَّة، وبألغاز، وأمثال. وهذا أيضًا قد تمَّ **لِتُنَبَّأ** به: «أَميلوا آذانكم إلى كلامِ فمي، أفتح بالامثال فمي منذُ القِدَم» (مزمور ٧٨:٢). بل وإظهار قدرته الخطابيَّة، فقد **تَنَبَّأ** بها المرنِّم، قائلًا: « إنسَكبتِ النعمةُ على شَفتيك» (مزمور ٤٥:٢)، أيضًا يقول **نبيٌّ** آخر: «هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَفِي وَيَتَسَامَى جِدًّا.» (أشعيا ٥٣:١٣). ويحدثنا عمَّا تحقَّقَ بهذا الحضور الإلهي والذي صاحبته معجزات مختلفة، يقول **النبيّ** نفسه: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ.» (أشعيا ٦١:١). ثُمَّ **تَنَبَّأوا** أيضًا بأنَّ اليهود سيغضِبون ذاكَ الذي أحسَنَ إليهم جدًّا، بالرغمِ من أنَّهم لم يستطيعوا أنْ يُدينوهُ بأيِّ شيء، لا بشيء بسيط، ولا بشيء مهم، إسمع **داود النبيّ** الذي **تَنَبَّأ** بذلك قائلًا:«ومع مُبغِضي السلام كنتُ صاحب سلامة؛ وحين كنتُ أُكَلِّمهم كانوا يُقاتِلونَني مجانًا» (مزمور ١١٩:٧).

مكتوبٌ أنَّ دخَلَ المدينة (أورشليم)، راكبًا على حِمار، وهذا ما **تَنَبَّأ** به **زَكَرِيَّا** آنذاك قائلًا: «اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ.» (زكريا ٩:٩).

يتبع في العدد القادم

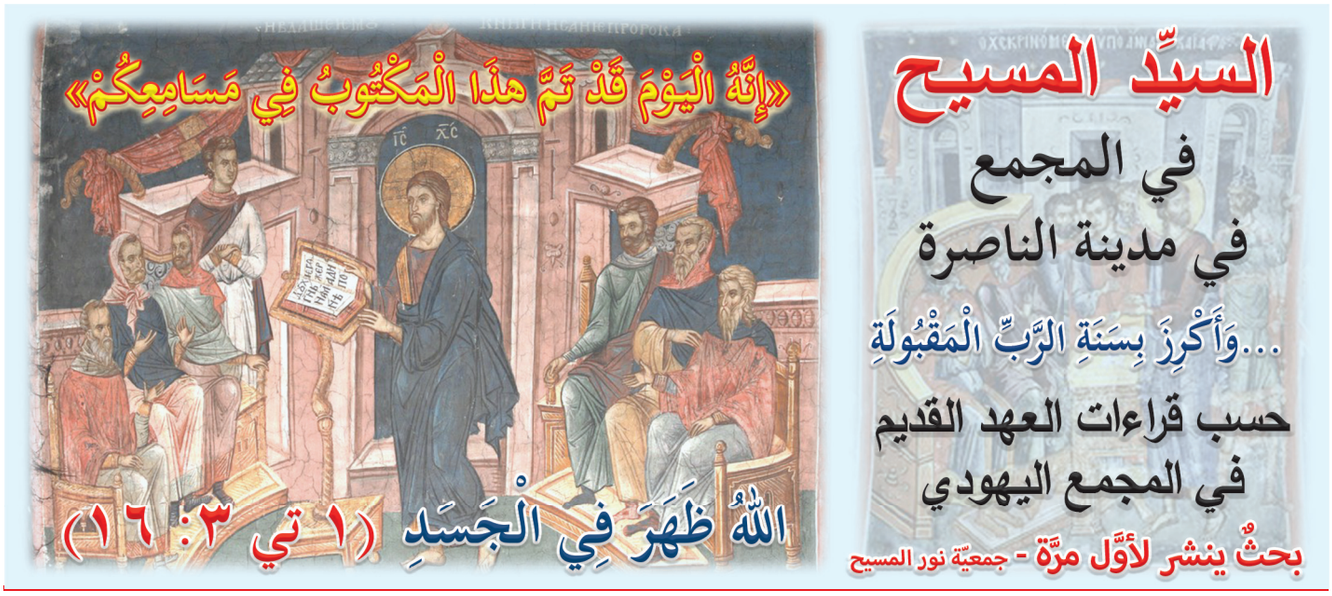

الخلفيَّة الرُّوحِيَّة لسبب قراءَة الإضافات في المجمع:

التوراة: (وتسمى أيضًا: التوراة المكتوبة) هي الجزء الأول من الكتاب المقدس، والتي تضم خمسة الأسفار الأولى التي كتبها **موسى النبي** بإلهام إلهي في مرحلة عبوره صحراء سيناء بعد خروجه من أرضِ مصرَ؛ **المصطلح اليوناني پينتاتيڤخوس** *Πεντάτευχος* (أسفار موسى الخمسة).

أنطيوخس الرابع (إپيفانيس) (*Ἀντίοχος Ἐπιφανὴς*)، (٢١٥ – ١٦٤ قبل الميلاد) – عاش قرابة **٥١** عامًا. كان **ملك المملكة السلجوقية** بين **١٧٥** و **١٦٤** قبل الميلاد.

أنطيوخس الرابع (إپيفانيس) هذا ، كان قد اضطهدَ الديانة اليهوديَّة، إذ دَنَّس الهيكل في أورشليم، ووضع لحم الخنزير فيه، ومن هنا اندلعت ثورة المكابيِّين. وقد أصدَرَ أمرًا سنة **١٦٧** قبل الميلاد نَهَى فيه عن قراءة التوراة أسفار موسى الخمسة وهي: **التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية.** في **المجامع اليهوديَّة.**

ونتيجة لهذا **القرار الظالم،** قرَّرَ **رؤساء الكهنة** قراءة **أسفار الأنبياء**، التي تعوِّض عن قراءة أسفار موسى الخمسة، ليستمرَّ موضوع التعليم والقراءة يوم السبت في المجمع. ولم تتوقف هذه الخطوة حتى بعد انتصار الحشمونيِّين وإلغاء المرسوم الظالم، وهزيمة **أنطيوخس الرابع (إپيفانيس)** ،

ومع إعادة قراءة أسفار موسى وتفسيرها كما كانَ مُتَّبعًا من ذي قَبل، لم تُلغَ قراءة **أسفار الأنبياء** التي أُضيفت، بل كانت تُقرأ مقاطع مهمة منها ترتبط بشكلٍ مباشر مع ما تمَّت قراءته من أسفار موسى الخمسة، وهذا ما يُدعى بالعبرانيّة «**הפטרה**»«**هابتاره**» ويشتق هذا الاسم من الفعل «**פוטרת**»«**پوتيرت**» أي أنه **يعفي** من وجوب قراءة التوراة.

ومن **أسفار الأنبياء** طُلِبَ من **السيِّد يسوع المسيح** أنْ يقرأَ منها في **المجمع في مدينة الناصرة،** وكانت من سفر **أشعياء النبيّ.**

ماذا قرأ المجمع من أسفار موسى قُبَيْلَ قراءَة السيِّد المسيح؟ :

قَرَأَ المجمع القراءَة الإفتتاحيَّة: (التي لم يذكرها لوقا الإنجيلي)

القراءة الافتتاحية: تُدعَى «**פרשת ניצבים**» وتعني «**الوقوف برسوخ**» للأقوال الإلهيَّة: **وهي من التوراة:** «أَنْتُمْ وَاقِفُونَ الْيَوْمَ جَمِيعُكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ: رُؤَسَاؤُكُمْ، أَسْبَاطُكُمْ، شُيُوخُكُمْ.. الخ ...» (تثنية ٢٩: ٩ – ٣٠: ٢٠). انتهى دور قراءة أسفار التوراة . **(هناك علاقة صميميَّة بين قراءة التوراة وما سيقرأه ويعلنه السيِّد المسيح في المجمع في الناصرة).**

الآن يأتي دور قراءة ال «**הפטרה**»«**هابتاره**» وهي من **أسفار الأنبياء.**

يصل يسوع المسيح إلى مدينة الناصرة حيث نشأ، وفي السبت، كالعادة، يذهب إلى المجمع، وطبيعي أنْ يسمع قراءة التوراة.

كان زوار المجمع والوافدون إليه، يعرفون **يسوع** جيدًا لأنَّهُ نشأ هناك. في ذلك السبت، قُرئت (**پاراشت نيتسافيم**)(**الوقوف برسوخ أمام الله**)، وهي من أسفار موسى الخمسة (التوراة)، ثمَّ قراءَة من **أسفار الأنبياء** تتعلَّق بخطبة (**پاراشت نيتسافيم**) وهي الإضافة: «**הפטרה**»«**هابتاره**» المطلوب قراءتها الآن. **خادم المجمع**، وبشكلٍ عَفَويّ، يدعو **يسوع** إلى المنصَّة، وَيُسَلِّمه سفر **إشعياء** لقراءة ال «**هابتاره**». لم يطلب **يسوع** أن يكون هو القارئ، أو أنْ يختارَ الإصحاح أو الآيات من سفر **إشعياء**. فقط طُلِبَ من **يسوع** أن يقرأ ال «**هابتاره**». التي **تمَّ تحديدها مُسبقًا.** لقد قرأ **يسوع** الآيات التي أُعِدَّت له **مُنذُ الأزل** ليقرأها في ذلك السبت بالتحديد! **(مذهلٌ، إنَّها ليست صُدفة، إنَّها عمل الله الخلاصي).**

دعونا نفهم **خلفيَّة الخطبة** لموضوع ((**پاراشت نيتسافيم – الوقوف برسوخ أمام الله**) التي قُرئت من سفر التثنية، وأيضًا ال «**هابتاره**» لهذا الأسبوع؛ لأنَّ هذا له **معنى حاسم** في فهم الحدَث الفريد.

عندما كان **يسوع** في المجمع في الناصرة، حسب العادة، انتهوا من قراءة توراة الأسبوع (وهي من سفر التثنية الفصل **٢٩** آية **٩** إلى نهاية الفصل **٣٠**) ، وهنا **يُطْلَبُ** من **يسوع** قراءة ال «**هابتاره**». صَعِدَ **يسوع** إلى المنبر **واقفًا**، وبدأ يقرأ من سفر **إشعياء** الأصحاح **٦١** الآية **١** إلى منتصف الآية **٢** «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ» (أشعياء ٦١: ١–٢) **وتوقَّفَ.**

وبنفس **الرُّوح الإلهيّ** يكتب **الإنجيليّ لوقا:** «وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ

كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ». ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ.» (لوقا ٤:١٦-٢٠).

أغلق **يسوع** السفر وأعاده إلى **الجامع أو الخادم** وَجَلَسَ. كان على **يسوع** أنْ يستمرَّ في القراءة حتى منتصف الإصحاح الثالث والستين، أي قراءة **ثلاثة إصحاحات !!!**، إطلاقًا لا توجد «**هابتاره**» تنتهي بعد آيتين فقط! لكنَّ **يسوع المسيح تَوَقَّفَ** بعد قراءة آيةٍ ونصف.

إنَّ إيقاف القراءة في المنتصف وبشكل مُفاجيء، وإغلاق السِّفر والجلوس على الكرسيّ، جَذَبَ انتباه جميع الموجودين. لقد فهم الناس أنَّ هناك تصريحًا أو نيَّة ما في تصرُّف **يسوع**. ولكن ما هو؟ **(انتبهوا:** الوفود الذين جاءوا إلى المجمع، كانوا قد انتهوا للتوّ من قراءة خطبة أو موضوع الأسبوع، والتي من سفر تثنية **٢٩ : ٩ إلى نهاية الإصحاح ٣٠**. الآيات التي قرأوها هناك وهي طويلة، كان ينبغي أن تكون قد أعدتهم للتحدث بها من خلال فَمِ **يسوع**)، هناك رباط متين بين ما يُقرأ من التوراة وبين ما يقرأ من سفر الأنبياء. **(الرجاء الرجوع إلى سفر التثنية)**.

فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ».

لقد صُدِمَ الجمهور في **الكنيس (المجمع)!** عُرِفت الآيات بأنَّها **نبوءة** عن عمل **المسيح** القادم. وكان الجميع يعلمون أنَّ إتمام الآيات وتحقيقها، يعني بدء **ملكوت الله!** وكان كُلُّ شخصٍ عاقلٍ في **المجمع** يَعْلَم: **أنَّ الله** وحده هو القادر على تحقيق هذه الوعود.

وكان **كُلُّ يهوديّ** ينتظر بفارغ الصبر تحقيق هذه الآيات! بعد كُلِّ شيء، كانت الأمَّة **تحت الاحتلال الروماني** وينتظرون **الخلاص**. المشكلة لم تكن في فهم الآيات، **بل في أنَّ المسيح** سمى نفسه مُحَقِّقًا لها، وهو **المسيح** الموعود به حسب **الأنبياء!**

المعنى: يسوع يقصد أنْ يقول: أنا الذي عليه روحُ الله. أنا الذي وصَفَكُم به **إشعياء النبي**، أُرْسِلْتُ لأُبَشِّرَ الوُدعاء، وأدعو المأسورين إلى الحريَّة، وأفتح عيون العميان بقوَّة، وأرسل منكسري القلوب أحرارًا، وأدعو إلى سنة الرَّبِّ المقبولة والمرغوبة.

« أنا هو **يسوع المسيح**، جئت لأُحقِّقَ هذه الوعود! – أنا هو الله في **مجده وعظمته!** » .

علاوة على ذلك، فإنَّ كُلَّ الوعود التي سمعوها يمكن أنْ تتحقَّق اليوم.

دعونا نتعلَّم معنى الوعود التي قرأها **يسوع** ثم نعود إلى رد فعل الحاضرين في المجمع:

أ. لِيَكْرِزَ لِلْمُتَوَاضِعِينَ: سيشجع **المسيح** ويؤدب ويعزي أولئك الذين عانوا من الإهانات أو الذين يتعرضون للضغوط والمتاعب نتيجة ولائهم **للمسيح** وإيمانهم به. الودعاء هم الأشخاص الذين تخلَّوا عن أنفسهم ويعيشون من أجل **المخلِّص**. عندما المجيء الثاني **للمسيح**، سيكون هؤلاء سعداء برؤية كيف يتحقَّق رجاؤهم، وستُؤْتِي أعمالهم ثمارها، لأنَّ وعود **الله** لأبنائه ستتحقَّق بالفعل. عندما **مجيء المسيح**، سيرى جميع معارضي التواضع **(المتكبرين)** أنهم كانوا مخطئين. (أش٠٤:٥٠).

ب. لتضميد القلوب المنكسرة: إنَّ **المسيح** الضابط الكُلّ له من القوَّة التي لا تُستَقصَى، أنْ يمنح الرَّجاء ويشفي أولئك الذين كادوا أن ينطفئوا وهم يائسون. منكسرو القلوب هم أولئك الذين يكون حزنهم عظيمًا جدًّا لدرجة أن بيت **الله** قد دُنِّسَ، وأنَّ كلمة **الله** ومجده يُداسان من قبل أبنائه وفي العالم. هل تحزن قلوبنا عندما نرى النجاسة وعبادة الأوثان بين شعبنا؟ هل إكرام **المسيح** مهمٌّ بالنسبة لنا؟ وهل لكلمته مكانة سامية في حياتنا؟ إذا كان الأمر كذلك، فنحن ودعاء **المسيح** وهو يشفي قلوبنا ويشفيها.

ج. إطلاق سراح الأسرى: هذا الوعد هو جزء من التعزية والرَّجاء الذي تحمله سنة اليوبيل **للعبيد وفقراء الأمة**. «وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً، وَتَرْجِعُونَ كُلٌّ إِلَى مُلْكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلٌّ إِلَى عَشِيرَتِهِ. يُوبِيلاً تَكُونُ لَكُمُ السَّنَةُ الْخَمْسُونَ. لاَ تَزْرَعُوا وَلاَ تَحْصُدُوا زِرِّيعَهَا، وَلاَ تَقْطِفُوا كَرْمَهَا الْمُحْوِلَ.» (لاويين ٢٥:١٠-١١). كما يجب تحرير الأرض في اليوبيل، هكذا **المسيح** يحرِّرنا من **الإسر والعبوديَّة من سلطان الظُّلمة**.

د. أُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ: هل المقصود أنه عندما يأتي **المسيح** سيطلق **المجرمين والقتلة من سجونهم؟** كلَّا والف كلَّا !!!

المقصود هو أنَّ **المسيح** يضيء للساكنين في الظلمة والديجور. «أَرْضُ زَبُولُونَ، وَأَرْضُ نَفْتَالِيمَ، طَرِيقُ الْبَحْرِ، عَبْرُ الأُرْدُنِّ، جَلِيلُ الأُمَمِ. الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ». (متى ٤:١٥-١٦).

هـ. وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ: سنةُ الرَّبِّ المقبولة هي **سنة اليوبيل، وتأتي كُلَّ خمسين عامًا** (لاويِّين ٢٥ : ١٠ كما ذُكِرَ سابقًا) وفيها تستريح الأرض ولا تُزرع، ويُطلق العبيد أحرارًا. وهي تشير إلى الوقت الذي يُبشِّرُ فيه **المسيح**، ويفدي البشريَّة لتنال الحياة الأبديَّة. وكان بدءُ كرازة **المسيح** في **الناصرة**، يوافق **سنة اليوبيل** عند **اليهود**. وكانت أيضًا حُرِّيَّةٌ للأسرى، لذا تُعتبر **سنة يوبيليَّة بامتياز**. فلو قبلوا **يسوع** كمخلص وفادٍ ومُحرِّر ومُنقذ، لكانت قد **بدأت** في تلك اللحظة حُرِّيَّة سنةُ الرَّبِّ المقبولة! ولكنهم وللأسف **رَفضُوا المسيح، بطردِهم إيَّاهُ** خارج **مدينة الناصرة**.

كان رد فعل الناس غريبًا وعجيبًا:

«وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟» (لو ٤ : ٢٢). فكيف يمكن أنْ يَفِي **يسوع** ابن **يوسف** بهذه الوعود؟

كُلُّ شخص عاقل يعي أنَّ **الله** وحده يستطيع أنْ يفعلَ هذا.

لكنَّ **يسوع المسيح** ينظر إلى الجالسين في المجمع ويخبرهم **بصوت عالٍ** عما يفكرون فيه أو يتمتمون به على شفاههم:

« فَقَالَ لَهُمْ: «عَلَى كُلِّ حَال تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ

اشْفِ نَفْسَكَ! كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَافْعَلْ ذلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ» (لو ٤:٢٣).

حسب **العقيدة اليهوديَّة** : هناك مسيحان سيأتيان:

١) **المسيح** ابن يوسف ٢) **المسيح** ابن داود.

يشير **يسوع** بن يوسف إلى الأعمال البطوليَّة التي سيُحقِّقها **المسيح** عندما يأتي، ويقدِّم نفسه كأحد الذين يُتَمِّمُون ذلك، ومن ناحية أخرى، يبدو من وجهة نظر خارجيَّة أنَّه هو نفسه بحاجة إلى علاج كقولهم: « أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ!».

إذا كان هو الذي يتحدَّث عن الصحة والحريَّة فلماذا لا يشفي نفسه أولًا؟. **أشعياء النبيّ** يعطي صورة دقيقة للغاية عن ملامح وعمل **المسيح الإله** لإنقاذ البشريَّة **الخاطئة** وتحريرها من **سلطان الشيطان**.

«مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.» (إش ١-٥).

المسيح ضابط الكون ومبدعه، ومحبّ البشَر، حمل **خطايا البشريَّة قاطبة في الماضي والحاضر والمستقبل**، وفدانا **بدمه الثمين** على عود الصليب. **دم المسيح المُؤلِّه** هو الترياق الإلهيّ الذي لا يُثَمَّن، الذي أزال **سُمَّ الحيَّة القاتل سُمَّ الشيطان**.

كانَ هناك سؤال آخر يدور في أذهانهم: إذا كنتَ أنت مَنْ تَدَّعي، فَلْنَرَك تشفي نفسك وسكان بلدتك، كما فعلت في كفرناحوم!

لقد اتضح أنَّ قُوَّة **يسوع** الخارقة للطبيعة كانت معروفة، لكن الشعب لم يكن مهتمًا بالبحث عن **الله**، بل معاينة الآيات والعجائب التي ستُجرى أمام عيونهم والاستمتاع بها (**كأنَّها عرض بهلواني**). «فَقَالَ لَهُم يَسُوعُ: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ» (يوحنا ٤ : ٤٨).

لم يبحثوا عن التوبة بل عن استفادة شخصية وأنانيَّة!.

وبما أنهم لم يقبلوه بالإيمان، وذلك بعد أنْ عرفوا تفاصيل كافية عنه للتحقُّق من أقواله (أفعاله وأعماله – إشعياء إصحاح ٥٣...) فإنهم لم ينالوا الوعود التي كانت في فمه عندما قَرَأَ الكتاب المقدس من سفر **إشعياء** إصحاح ٦١. بل، بسبب عدم إيمانهم وعدم استجابتهم الكافية للأشياء التي سبق أن رَأوها، قال لهم **يسوع**:

«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ. وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا، وَلَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، إِلاَّ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، إِلَى صَرْفَةِ صَيْدَاءَ. وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ».(لو٤:٢٤-٢٧).

فقال لهم **يسوع**: «إنَّ سلوككم لا يختلف عما كان عليه من قبل. أنتم لم تقبلوا **إيليا**، فذهب إلى أرملة في صرفة صيدا (منطقة في لبنان) (١ ملوك الأصحاح ١٧ : ٩). وبارك **إيليا النبي** فقيرةً أمميَّةً على **مئات وآلاف من اليهوديات الفقيرات اللواتي عِشنَ في أرض إسرائيل**.

أليشع النبيّ لم يَشْفِ أبرصَ في الأرضِ مع كثرة المرضى، لكنَّه شفى **نعمان السُّوري** الذي كان يُعتبر عَدُوَّ الشَّعب. (٢مل ٥).

في هذه الأمثلة قال **يسوع** لمستمعيه: «لستم أفضل من معاصري **النبيَّين إيليا وأليشع**. ليس فقط أنَّكم لا تعرفون **الله**، بل **وتعملون ضِدَّهُ**. وكما عاقب **الله** الشعب بمنع البركة عنهم، ومنحها للأمم، هذا ما سيتمّ الآن لأنَّكم رفضتم مصدر البركة بايديكم، رفضم « **إيل شدَيّ: المسيح** الموعود» (**إيل شدَيّ = الله الضابط الكُل، القوي، الثابت، المُبدع**).

وهكذا كان **رَفْضُ اليهودِ للمسيح** وهو منهم بحسب الجسد، نقطة التحوُّل، لكن الأمم قَبِلَتْهُ، وهكذا ذهبت البركة إليهم **أوَّلًا**.

«وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ». (مت ٢ : ٦).

(منذ الميلاد **رفضَ اليهود** الإيمان بما قرأُوه **لهيرودس**، مع أنَّ **الأمم أي المجوس** قد آمنوا **بالمسيح**، وأحضروا له الهدايا لأنَّه ملك اليهود).

ما حدث في الناصرة كان جزءًا صغيرًا ممَّا حدث لاحقًا في أرض إسرائيل. وبسبب رفض شعبه **ليسوع المسيح**، أُرسلت بركة الإنجيل بقوَّة عظيمة إلى الأمم؛ وفي المستقبل سيغار بنو إسرائيل من إيمان الأمم **بمخلِّصهم يسوع المسيح**، وهذه الغيرة ستجعلهم يُفَتِّشون عن **يسوع** مرَّة أخرى وبإلحاح ويقبلونه أخيرًا ربًّا ومخلِّصًا! «وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ.» (زكريا ١٢ : ١٠).

إنَّ ردَّ فعل الحاضرين على كلام **يسوع** أثبت أنَّهم لم يقبلوه إتمامًا لما هو مكتوب في سفر **إشعياء ٦١**، بل دانوه **حسدًا** كرَجُلٍ مُتَّهمٍ بالهرطقة ومستحقٍ الموت: «فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلِ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.» (لو٤:٢٨-٣٠).

يسوع لم يهرب! لقد مرَّ من خلالهم، وبطريقة خارقة للطبيعة ابتعد عنهم سليمًا ودون أنْ يُصابَ بأذًى. وكما رُفِضَ **إيليا النبيّ** حتى اضطرَّ إلى الهروب لإنقاذ حياته، كذلك **يسوع مرفوض إلى هذا اليوم**، ولا مكان **لإنجيله** في بيت شعبه **شعب اليهود**.

إثبات على وجود الأقانيم الثلاثة:

وفي ضوء كلام **يسوع** يمكن القول إنَّ سفر **إشعياء ٦١ الآيات ١-٣** هو دليل على وجود ثلاثة أقانيم في الإله الواحد. وبما أنَّ **الله** وحده هو الذي يستطيع أنَّ يحقق ما جاء في الآيات، وبما أنَّ القائل يقول: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ» (إش٦١ : ١)، فإنَّ الآية تشير إلى وجود ثلاثة أقانيم في الإله الواحد:

١) **يهوه، יהוה** ٢) روح الله. ٣) المتكلم (الذي هو أيضًا الله). ■

الجبل المقدّس آثوس – دير كونستامونيتو

يقع **دير كونستامونيتو** في موقع يُعتبر من أجمل المواقع على **الجبل المقدّس**. الدير مبني في عمق غابة تبعد حوالي ساعة عن المرفأ من الجهة الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة بين **ديرَي زوغرافو ودوخيارِيُّو**. يبعد عن الأول ساعة سيرًا على الأقدام وعن الثاني حوالي الساعة أيضًا.

الدير مكرّس **للقدّيس استفانوس أول الشهداء** المعيّد له في ٢٧ كانون الأول شرقي.

تاريخ الدير

هناك تقاليد عدَّة حول تاريخ تأسيس الدير ومن أسَّسه. أحد هذه التقاليد ينسب تأسيس الدير إلى **الأمبراطور قسطنطين الكبير** في القرن الرابع أو **لابنه كونستانس**، ومنه أخذ **الدير اسمه كونستامونيتو**. وتقليد آخر: أَسَّس الدير ناسكٌ من قرية/منطقة كاستاموني ***(Kastamoni)*** في آسيا الصغرى، فَدُعِيَ بإسم **كاستامونيتيس *(Kastamonitis)*** وهذا الاسم موجود بكثرة في الوثائق البيزنطيَّة التي تعود إلى الفترة التي يُظن أنَّ الدير أُسِّس خلالها. وهناك بعض الدارسين الذين ينسبون الاسم إلى شجرات الكستناء المحيطة بوفرة بالدير، غير أنّ هذا مستبعدٌ جدًّا.

لا يوجد معلومات عن الدير إلّا ابتداءً من القرن ١٤ رغم أنَّ الاسم مذكور في وثائق تعود إلى القرن ١١. في بداية القرن ١٤ سُرِقَ الدير ودُمّر على أيدي **المرتزقة المسلمين** وذلك على غرار عدد من أديرة الجبل. بعد هذه الكارثة هناك ذكر للجهود التي بذلها الرهبان لإعادة إعمار الدير والحفاظ على ممتلكاته. لأجل هذا أصدر **الأمبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس** وثيقة تحدِّد ممتلكات الدير المدوّنة باسمه الحالي. الاسم عينه مذكور **في التيبيكون الثالث للجبل المقدّس (١٣٩٤)** حيث يقع الدير في المرتبة ١٦ بين الأديرة ٢٥ الموجودة في تلك الحقبة. كذلك الأمر في وثيقة **للأمبراطور مانويل الثاني باليولوغوس** الذي يرسم فيها حدود الدير.

ساهم في إعمار وترميم الدير عددٌ من المحسنين منهم **السيد جورج برانكوفيك والأميرة الصربية أنّا** المحبَّة للبشر. بالإضافة إلى الهدايا والأراضي التي قدَّماها للدير، منح الإثنان **لدير كونستامونيتو أديرة قديمة مثل سكاماندرينو ونياكيتو والقدّيس هيباتيوس**. أمَّا عام ١٤٣٣ فقد التحق بالدير **قائد صربي مرموق** باسم **راديتس** ووهبَهُ كُلّ مقتنياته وأمواله.

إبان **الأحتلال التركي** للأراضي اليونانيَّة عانى **دير كونستامونيتو** الصعوبات عينها التي عانتها كل أديرة الجبل. الضرائب الكبيرة التي فرضها الأتراك إلى جانب نكبات أخرى أدّت بالدير إلى تدهور مادي كبير. عام ١٦٦٦، **زار الدير الأسقف يوسف، أسقف ساموس**، فلم يجد فيه سوى ستة رهبان وشَاهد حالة الدير المتردية.

في أواخر القرن ١٨، أصدر **البطريرك نيوفيتوس الثامن** مرسومًا يغيّر فيه نظام الدير من **إيديوريتمي** إلى **شركوي** وذلك أثناء **رئاسة الراهب غبريال للدير**. ولكن بسبب سني الفقر الطويلة وعدم الاستقرار لم يتحقَّق هذا التغيير حتى العام ١٨١٨ عندما عُيّن **خريسانثوس رئيسًا للدير** وعمل من دون كَلَلٍ وَمَلَلٍ لتحسين حال الدير.

ما بين العامين ١٨١٩ و١٨٢٠ وهبت **فاسيليكي زوجة علي باشا** مبالغ طائلة **لخريسانثوس رئيس الدير**. بهذه الأموال أُعيد ترميم قسم كبير من الدير. في هذه الفترة نشبت خلافات على الحدود مع **دير دوخيارِيُّو** ولم تنحلّ إلّا عند تعيين **الراهب سمعان رئيسًا للدير** (أواخر القرن ١٩) وهو رجل مقتدر. كان هذا الأخير قد التحق بالدير مع **الراهب يوسف الذي من دير كسيروبوتامو** وعملا سويًّا على جمع مساعدات للدير بالأخص من **روسيا**، هذه ساهمت في ترميم أقسام من الدير وتجديدها. في هذه الفترة تمكن الدير من بناء الجناح الشمالي والكاثوليكون، ونصف الجناح الجنوبي، ونصف الجناح الشرقي، وأيضًا إيفاءِ كُلّ ديون الدير.

يقع الدير اليوم في المرتبة العشرين بين أديرة الجبل ويتبع النظام **الشركوي**.

معالم الدير

كاثوليكون الدير مكرَّس للقدّيس استيفانوس أول الشهداء، وقد تم بناؤه بين العامين ١٨٦٠ و١٨٧١ فوق مواقع الكنائس القديمة، التي بُنِيَت سابقًا وهو الكنيسة الرابعة في نفس المكان. شُيد الكاثوليكون بحسب **التقليد الآثوسي** لكنه خال من الرسومات، هناك عمليَّة جادَّة للبدء بكتابة (رسم) الأيقونات بعد أن انهى الدير ترميم الكاثوليكون منذ مُدَّة وجيزة. أرضيَّة الكنيسة والإيقونسطاس مصنوعان من الرخام.

بالإضافة إلى الكاثوليكون يوجد في الدير ٥ كنائس أخرى في الداخل و٤ كنائس في الخارج.

لدير كونستامونيتو قلاية واحدة في كاريس مكرّسة لآباء جبل آثوس القدّيسين وهي تشكل المركز الرئيسي للدير في العاصمة.

يملك الدير كنوزًا كثيرة منها ثلاث إيقونات عجائبيَّة موضوعة في الكاثوليكون: إحداها للقدّيس ستيفانوس، تعود إلى القرن الثامن. في التقليد أنَّ هذه الإيقونة وصلت إلى جبل آثوس بطريقة عجائبية بعد سفر من أورشليم أثناء **اضطهاد مُكَرِّمي الأيقونات**. على الطرف السفلي للإيقونة آثار حريق بالإضافة إلى شقٍ كبير فوق العين اليسرى للقدّيس.

وإيقونتان **لوالدة الإله**: إحداها **لوالدة الإله القائدة *(Hodegetria)*** تعود إلى القرن ١٢ وهي بحسب التقليد هدية من **الأميرة أنّا المحبَّة البشر**. والثانية **لوالدة الإله المستجيبة *(Antiphonetria)*** وسنأتي على ذكراهما حالًا.

إلى جانب هذه الأيقونات العجائبيَّة يملك الدير إيقونة صغيرة مميّزة للقدّيس استيفانوس من القرن ١٦ وقطعة من الصليب المحيي وعددًا كبيرًا من **الذخائر**.

مكتبة الدير تقع فوق نارثكس الكاثوليكون وفيها ١١٠ مخطوطات، ١٤ منها على أدراج، وحوالي ٥٠٠٠ كتاب مطبوع.

والدة الإله المستجيبة: *(Antiphonetria)*

عام ١٠٢٠، أثناء حكم **الأمبراطور قسطنطين مونوماخوس**، أجرت هذه الإيقونة في **دير كونستامونيتو** العجيبة التالية:

في الأول من شهر آب، تحتفل الكنيسة الأرثوذكسيَّة بزيّاح الصليب المقدّس المحيي، وفي الثاني من شهر آب بعيد نقل رفات القديس ستيفانوس؛ لم يكن في الدير زيت لإشعال القناديل في الكنيسة وتزينها بالقناديل المُشِعَّة والمتلألئة، كما يليق. هذا سبَّب حُزنًا كبيرًا **لرئيس الدير الإيغومينوس أغاثون**، كان هذا في عشيَّة عيد نقل رفات القدّيس استيفانوس **الذي كُرّس الدير على اسمه**، أي في مساء الأول من شهر آب، عندها جثا **رئيس الدير الإيغومينوس أغاثون** على ركبتيه بخشوع أمام **إيقونة والدة الإله** وذرف الدموع طالبًا منها المعونة. بقي على هذه الحال الليل بطوله ومن شدَّةِ تعبه وصومه غفا قليلًا. وفي حالة من الذُّهول سمع صوتًا من **إيقونة العذراء المستجيبة** تقول له: **ألَّا يحزن أو ييأس: فهي تهتم بكلِّ تفاصيل الحياة في الجبل المقدّس.**

وتصديقًا لكلامها **امتلأت جرَّة الزيت الخاصة بالكنيسة وامتلأت معها مخازن الدير بالمؤونات الضروريَّة**. عندما سمع **أغاثون** ذلك، استفاق فَرِحًا لهذه المعاينة، وافتقد جرَّة الزَّيت فوجدها ملأَى، فتعجّب وشكر **الله** وأعلن العجيبة لإخوته بأعلى صوته.

ملحوظة مهمة: **من هو المتوحِّد ورئيس دير كونستامونيتو أغاثون؟**

وصل إلى **جبل آثوس** شابٌ من **جزيرة پاروس** دُعِيَ بأسم **يوسف** (١٨٩٨-١٩٥٩) طلبًا للوحدة والسكون، لم يستطع أنْ يتعلَّم الصلاة الهدوئيَّة من النسَّاك الكبار في الجبل لكثرة انشغالهم، وبعد صلوات وتضرعات لجوجة، تعلَّمها مباشَرَةً من السيِّد **المسيح** من خلال نورِهِ غير المخلوق، وصلَ بعد هذا الإعلان الإلهي، إلى أعلى درجات النُسك، فُسُمِّيَ **بيوسف الهدوئي**، وهو **قديسٌ عظيم**، كان له تلاميذ عظام أيضًا ارتقوا إلى أعلى درجات القداسة، منهم **أفرام أريزونا (رئيس دير فيلوثيُّو في جبل آثوس، حيث انتقلت إدارة الرهبنة النُسكيَّة هناك بعد رقاد القديس يوسف الهدوئي)**، وكان المتوحِّد **أفرام** يهتم إداريًّا وروحيًّا بأديرة عدَّة في جبل آثوس، ومنها **دير فيلوثيُّو، ودير كونستامونيتو**، وقد شَيَّدَ المتوحِّد **أفرام ١٩ ديرًا في أمريكا**؛ ومن بين تلاميذ **أفرام، المتوحِّد أغاثون رئيس دير كونستامونيتو، التي استجابت لصلواته العذراء مريم.**

والدة الإله القائدة *(Hodegetria)*

في عام ١٨٦٤م قام **أبوان ناسكان من الدير** برسم نَسخةٍ عن الأيقونة **القائدة هوديغيتريا الأصليَّة**، وسافرا بها إلى **روسِيَّا** ليتبارك بها المؤمنون هناك بعد السجود والعبادة، في كنائسها العديدة.

ففي إحدى الكنائس الرُّوسِيَّة تَقدَّمت نحو الأيقونة، إمرأة **ضريرة**، وهي تقيَّة ونبيلة، للتبرُّك والسجودِ والشفاعة بقلبٍ مفعمٍ بالمحبة والرَّجاء، طالبةً المعونة والشِّفاء من **والدة الأله الكليَّة القداسة**، لكي يعود لها بصرُها من جديد، وما أن همَّت بتقبيل الأيقونة، نالت الشفاء بالتمام والكمال، وكانت هذه المرأة غنيَّة جدًّا ، فوهبت العذراءَ منديلًا أبيضَ اللون ليوضع **حول رأسها الكليِّ الوقار**، وكان هذا المنديل الأبيضُ مصنوعًا من خامة فريدة، والمطرَّز بحبَّاتٍ صغيرة من اللؤلؤ والأحجار الكريمة والدُرِّ الأصلي، علمًا أنَّ الأيقونة الأصليَّة يعود تاريخ كتابتها (رسمها) الى القرن الثاني عشر حسب النمط والطراز الرُّومي (البيزنطي).

Σπάνιο κειμήλιο της Ιεράς Μονής Κωνσταμονιτου

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير كونستامونيتو العامر والمقدَّس

1) قطعة من صليب يسوع المسيح المقدس.

2) قطعة من رداء السيِّد المسيح التي وضعها عليه الجنود للسخرية منه.

3) ذخيرة للقديس تريفون.

4) ذخيرة للقديس ستيفانوس، حامي الدير المقدَّس.

5) ذخيرة للقديس بارثينيوس، أسقف لامبساكوس.

6) ذخيرة للقديس قسطنطين الكبير الأمبراطور الرُّومي (البيزنطي).

7) ذخيرة للقديس النبيّ زكريَّا، والد القديس يوحنَّا المعمدان.

8) ذخيرة للقديس أچيلِيُوس أحد الشهداء الأربعين في سبسطية.

9) ذخيرة للقديس لوقا الإنجيليّ.

10) ذخيرة للقديس أندراوس الرسول المدعو أوَّلًا.

11) ذخيرة للقديس پانديليمون الطبيب الشَّافي.

12) هامة القديس ڤلاسيوس الكاملة أسقف سبسطية.

13) ذخيرة للقديس أرتيميوس.

14) ذخيرة للقديس خريستوفوروس.

15) ذخيرة للقديس پروكوپيوس.

16) ذخيرة للقديس الشهيد ثاليليوس، وهو من مواليد لبنان .

17 + 18) ذخيرتان للقديس خارالامبوس (فرح).

19) ذخائر للشهداء ال ٢٠٠٠٠ الذين استشهدوا في نيقوميذيَّا.

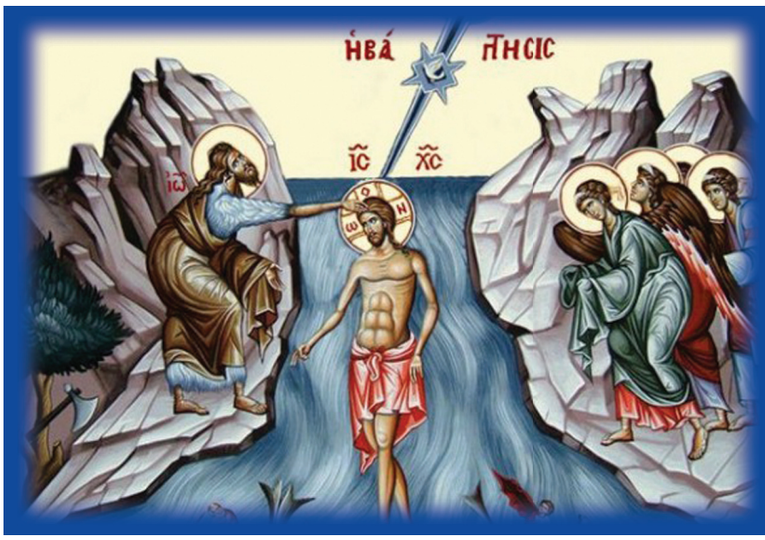

الظهور الإلهي «الغطاس»

أفرام، مطران طرابلس والكورة وتوابعهما

عن «الكرمة»، العدد١، الأحد ٥ كانون الثاني ٢٠١٤

هذا هو العنوان الرسميّ لهذا **العيد السيّديّ**، بحسب شهادة الكنيسة وخبرة آبائها القدّيسين عبر العصور.

لماذا تطلق الكنيسة هذا الاسمَ على العيد، ولا تكتفي بكلمة «**الغطاس**» الشعبيّة المعبِّرة والحلوة جدًّا ؟!

هذا لكي تُبرز أوّلًا الصورة الإلهيَّة الحقيقيَّة، صورةَ **الثالوث القدّوس**، وهي العقيدة الأساسيَّة في إيماننا المسيحيّ.

لا ينفي هذا الأمر أبدًا صورةَ **ابن الله** المتأنّي، الحبيب **عند الله أبيه** وعندنا أيضًا، إذ «**غُطِّسَ**» في المياه مشيرًا إلى موته من أجل خلاص البشر.

جاءَ في إنجيل متى: «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى ٣: ١٦-١٧).

«انفتحت السموات»، أي كلّ ما هو فوق، حتى لا يعتقد أحدٌ أنّ هناك شيئًا باقيًا يَعلُوه. لماذا يقول متّى «**انفتحَتْ**»، بينما يَذكر مرقس أنّها «**انشقَّتْ**»؟ (مرقس ١: ١٠). يفسّر **القديس غريغوريوس بالاماس** هكذا: « السرّ مزدوجٌ: انفتحت أيْ كانت مقفلةً قبلًا **بسبب الخطيئةِ ومعصيةِ آدم**... عندما قال له الله: «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك ٣: ١٩). من جهة ثانية **انشقَّتْ** لأنَّ قوّة الرُّوح وطاقته الإلهيّة نزلَتْ كلُّها على **المسيح** بالجسد. هذه القوّة لم تَسَعْها السموات، لذا انشقّت، فصدَقَ القولُ «وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرُ طَاهِرَةٍ بِعَيْنَيْهِ» (أيوب ١٥: ١٥).

السموات، أي الملائكة، غير نقيّة أمام **إله** السموات. رغم استنارتها، تبقى منقوصةً من الطهارة الكاملة. وحدَها طبيعتُنا **في المسيح** تحوي الطهارة الكاملة، التي هي كامنة في قوّة الرُّوح وطاقته الإلهيّة. من هنا نفهم كيف **أنَّ الظهور الإلهيّ «عيد الغطاس»** يعنينا جميعًا: إنّه ظهورُ **الله** فينا بهذه القوّة الروحيَّة القادرة على تأليه طبيعتنا الحقيرة. هل تَعقِلُ أيّها المعمَّد، الإبنُ الحبيب لله، أنّك تملكُ مثل هذه القوّة في داخلك؟ أم أنّك لا تريد أن **تُميتَ أعضاءَ الخطيئة** في داخلك وتَنعمَ بفرح القيامة؟ تذكّر قولَ الرّسول: «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟» (رومية ٦: ٣-٤).

الظهور الإلهي – للقديس يوحنا الذهبي الفم

الرُّوح بهيئة حمامة:

لماذا ظهر **الرُّوح القُدُس** بشكل حمامة؟ الحمامة طائرٌ أليفٌ طاهرٌ. وبما أنَّ **الرُّوح القُدُس** هو روح وداعةٍ، لذلك تراءى بشكل حمامة. ومن ناحية أخرى، هذا يذكرنا بقصةٍ تاريخيةٍ قديمة، عندما غمر الطوفان كُلَّ المسكونة، وكاد الجنس البشري أنْ يفنى، كانت الحمامة الطائر الذي بيَّن بوضوح نهاية الغضب الإلهي، حاملة في منقارها غصن زيتون، كخبرٍ مفرح يُعلن السلام العام. كُلُّ ذلك كان رسمًا لما سيحدث لاحقًا. كانت حالة الناس أبشع بكثير من حالتهم الحاضرة، وكانوا يستحقون عقابًا أكبر. فلكي لا تيأس أنت الآن، يُذكِّرك هنا بتلك الحادثة القديمة: حين كان الرجاء مفقودًا، وُجد حلٌّ وإصلاحٌ. كان الطوفان في ذلك الوقت تأديبًا، وأمّا الآن فقد جاء الحلّ عن طريق النعمة والعطيّة الجزيلة. لذلك ظهرت الحمامة، لا تحمل غصن زيتون، ولكنها تشير إلى الذي سيُخلِّص من كلِّ الشدائد، وتبسط أمامنا رجواتٍ صالحة؛ لأنها لا تُخرج إنسانًا من الفُلك، بل تقود بظهوره المسكونة كلها إلى السماء. لكن الحمامة لا تحمل غصن زيتون، بل تبشرنا بعطيَّة البُنُوَّة لله.

الآنَ وقد أدركتَ قيمة العطيَّة، لا تحسب أنَّ قيمة **الرُّوح** ناقصةٌ، بسبب ظهوره بشكل حمامة. أسمع البعض يقول: إنَّهُ كما يختلف الإنسان عن الحمامة كذلك يختلف **المسيح** عن **الرُّوح**؛ إذْ ظهر **المسيح** بصورة طبيعتنا الإنسانيَّة، بينما ظهر **الرُّوح القُدُس** بصورة حمامة.

فَبِمَ نجيب عن كُلِّ ذلك؟ إنَّ **ابن الله** اتَّخذ طبيعة الإنسان، بينما **الرُّوح القُدُس** لم يأخذ طبيعة الحمامة. لم يقل الإنجيلي إنَّ **الرُّوح** ظهر «**بطبيعة حمامة**» بل «**بشكل حمامة**». ولم يظهر **الرُّوح** بعد ذلك بهذا الشكل، الحقيقةُ شيءٌ والتدبير شيءٌ، التنازل شيءٌ، والظهور العابر شيءٌ آخر. « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ.» (رو ٨: ٩) **إذًا روحُ اللهِ، هو الرُّوح القُدُس روح المسيح.** ■

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الجزء الرَّابع – الفصل الأوَّل

« مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلهِنَا يُزْهِرُونَ. أَيْضًا يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ. يَكُونُونَ دِسَامًا وَخُضْرًا» (مزمور ٩١: ١٣-١٤).

«فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». (يو ٥: ١٧).

قد يتبادر إلى الذهن أنَّ هذا الكتاب سوفَ يتحدَّث الآن عن: «الارتقاء الرُّوحي»، والسلام والتأمُّل، لأنَّه سوفَ يتناول سنوات العُزلة في حياة رَجُل الكنيسة. وهو ما يرجُوه كلُّ انسان في نهاية حياته العمليَّة، وعندما يواجِه مرحلة الشيخوخة.

ولكن يجب ألَّا ننسى أنَّ الرَّبَّ يرتَضِي أحياناً أنْ يزيدَ العمالقة الرُّوحيِّين كمالًا بجهادات ترافقهم حتى نهاية حياتهم. وعندما يسمح للعدُوِّ، **أمير الجحيم**، بأنْ يتدَخَّل بآلاف الطُرق. وهو لا يُخرِج العمالقة منتصرين فحسب في الجهادات الأخيرة التي لن ينالوا من دونها إكليل البِرِّ، بل إنَّهُ يَسْخَر أيضًا من أقوياء هذا العالم وُضعَفائِهِ. ويفضَح المحارب الكسول الضعيف الذي **لا** يتحمَّس لِتَسَلُّقِ القِمَمِ، ويجعله أضحوكة.

وهذا بالضبط ما حَصَل **لأسقف المدن الخمس السابق**!

إنَّ الدير بمُبتَدِئاتِهِ الوَفِيَّاتِ الصادقات (على ما يبدو) كان مسرحًا يوميًّا للنُسكِ، والتجارب والصراع. وكان الصراع رهيبًا وملتحمًا **مع الشيطان المُدَمِّر والخبيث، سَيِد الجحيم**.

وكان على نكتاريوس الذي تجَذَّرت فيه روح التواضع العميق، أنْ يعيشَ في هذا المكان التجربة البشريَّة الكُبرى: تجربة الصبر، ومعها تجارب التضحية من أجلِ القريب، والوداعة، والإيمان الصادق اللَّامحدود: أي أنْ يستسلمَ كُلِّيًّا إلى المشيئة الإلهيَّة دون قيد أو شرط.

وإذا كان الشهيد بعد تعذيبِهِ والتنكيل بِهِ ينالُ إكليلًا غير بالٍ عند قطع رأسِهِ وتسليم روحِهِ للرَّبِّ، فإنَّ مَنْ يُرضِي الرَّبَّ بصبرٍ طويل جدًّا، ويحمل صليبه بدونِ تذَمُّر، ينال المكافأة نفسها، وربما أكثر.

أمَّا نحنُ، أُناس هذا العالم المتجَذِّرينَ في الأرضِ، فقد نتساءَل: ماذا يمكن أنْ يحدثَ بعد لهذا **الأسقف** المتقاعِدِ المعتزل في وَحدة هذه الجزيرة النديَّة القائمة كحبَّة زُمرُّد في وسط خليج سالونيك؟ لا شيء على الأرجح، لا شيء خطير!

القديس نكتاريوس اسقف المدن الخمس

ومع ذلك فإنَّنا سنَرَى فيما بعد أنَّه نادرًا ما سيتَسَنَّى له تناول خبزه بسلام، والتمتُّع بنومٍ هادئ حتى آخر حياتِهِ.

إنَّ بطريَرْكًا أو مُطرانًا مُقامًا على أبرشيَّة واسعة، يواجهان في كُلِّ يوم جميع أنواع الهموم والمشكلات الإداريَّة والإنشغالات الجسيمة. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًّا. إلَّا أنَّه عندَهُما مجموعة من المستشارين والموظَّفين والمعاونين من جميع الأطياف يساعدونَهُمَا.

أمَّا نكتاريوس فكان وحيدًا، وقد أتعبته تجارب الحياة وخيبات الأمل، والوعظ والتعليم لإكليريكي، وعمله ككاتب، وأخيرًا الشيخوخة! وحوله أنقاض وأكواخ، والفقر والحرمان، وبعض النفوس التي ماتَ لأجلها المسيح: مُبتدِئات في التجارب، مشغوفات بالحياةِ الرهبانيَّة، لكنَهُنَّ يجهَلنَ مقدار التضحية التي يتطلَّبها كمال الفضيلة، ولا يعرفنَ كيف يُحارِبنَ الأنانيَّة والأهواء.

لقد أخذَ على عاتقه أمام الله أنْ يَتَحَمَّل مسؤوليَّة هذه النفوس، فعليه إذن أنْ يُشَمِّرَ عن ساعِدِيه، وأن يواجه **القوَّات السُفليَّة** التي لا يعرفها هذا العالم، والتي تفوقُ أحيانًا في عُنفِهَا وخَطَرِهَا كُلَّ ما يُرى.

كان عليه أنْ يحفظ هذه النُفوس من صدمات عواصف الحياة التي تُصيبها بالغثيان، وألَّا يجعل الخوف يُسَيطر عليها، وتأرْجُح مركبها في جميع الاتجاهات. لقد تجمَّعت حول **الضريرة كساني**، الممتلئة بالإيمانِ والطَّاعةِ، حوالي خمس عشرة راهبة ومبتدئة خلال الصيف، وصارت تقوم بمهمَّة الأُم الرئيسة. وفيما بعد سوفَ يُلبِس نكتاريوس بعض هذه الفتيات **الاسكيم الكبير**، ومن بينهُنَّ الرَّاهبات القديمات من الدير المُهَدَّم: أناستاسيَّا، ومادلين، والأصغر سِنًّا: **حنَّة وأنوقنتيا وأليصابات وأوفيميَّا وفبرونية وخريستوذولا وبلاچيَّا وخريستوفورا وثيودوسيَّا** وغيرهُنَّ. وكان همُّ نكتاريوس الأوَّل توجيههُنَّ الرُّوحي، ووضع نظام لتحديد كيفيَّة الصلاة والعمل.

(يتبع)

الإصحاح الرابع

العظة الثالثة عشرة: (١كو٤: ١٠-١٦) – تتمة

٦– أتَكَلَّم بهذا، لا لأنَّ المال خطيَّة، بل الخطيَّة، هي ألَّا يُوَزَّع على الفُقراء ولا يُستخدم الاستخدام الحَسَن. إنَّ الله لم يخلق شيئًا شريرًا، بل صنع كُلَّ شيء حسنًا، وبناءً على ذلك **فإنَّ المال هو شيءٌ حسنٌ، حينَ لا يتَحَكَّم في من يملكه، وأن ساهَمَ في القَضَاء فيه على فقر الانسان**، بمعنى أنَّ النُّور الذي لا يستطيع أن يُلاشي الظلام، بل **يتركه ينتشر**، لا يُعتَبر نورًا جيِّدًا. وأنا لا أستطيع أن أدعو المال الذي لا يُلاشي الفقر بل يزيدُهُ، هو مال جيِّدٌ وَحَسَنٌ، لأنَّ الغَنِيَّ الحقيقيَّ لا يسعى للأخذِ، فمن يفعل ذلك لا يُعَدُّ بعدُ غنيًّا، بل هو نفسه فقير. إذًا **فالمال ليسَ شرًّا في حَدِّ ذاتِهِ**، بل الذهن التافه هو الذي يقودُ الغنيّ للفقر الحقيقي. إنَّ هذه النوعيَّة من البَشَر التي تعيش وسط الحرير وتتبَاهَى بالملابس الفاخرة، هي **أكثر بُؤسًا وتعاسة** من المُتَسَوِّلين في الأزِقَّةِ، الذين يرتدون ثيابًا بالية فوقَ أجساد بُتِرَت بعضُ أعضائها.

إنَّ أولئك الذين يسيرون في الأسواقِ بِعَظَمَةٍ وتَبَاهٍ، هم أكثر تعاسة من هؤلاء المتسولين الذين يتسَكَّعون في الأحياء، يخترقون أسوار المنازل ويُنادون من أسفل لِيَنالوا صَدَقَةً، لأنَّ هؤلاء يسبِّحون الله، وكثيرًا ما يتكلَّمون بكلماتٍ تُثيرُ الشفقة والرَّأفة، ولهذا فنحنُ نتراءَف عليهم ونُقَدِّمُ لهم رحمة (أي مُساعدة). أمَّا أولئك الذين يغتنون ويتفوَّهون **بألفاظٍ نابيَّةٍ، ويسلكون بوَحشيَّة وبشهوةٍ شيطانيَّة**، يكونون مَكروهين من الجميع وموضع سُخريةِ الكُلّ. لاحظ الآتي: أيُّهما يعتبره الناس أكثر رداءة وسوءًا، أنْ يطلبَ أحدٌ أنْ يأخذَ من الأغنياء، أم أنْ يأخذَ من المحتاجين؟ أعتقد أنَّه من الواضح للجميع، أنْ يأخذَ أحدٌ مِنَ الفقراء، فهذا أمرٌ رديء؛ وهذا ما يفعله الأغنياء، لأنَّهم لا يجرأون على أنْ يذهبوا إلى مَن هُم أكثر ثراءً منهم، بينما نرى المتسوِّلين يطلبون صدقةً من المتيسِّرين، لأنَّ المتسوِّل لا يطلب من متسوِّل مثله، بل يطلب من الغنيّ، بينما الغنيّ يفترس الفقير. فلتُخبرني أيضًا، ما هو الأكثر لياقة ووقارًا، إنْ أخذَ أحدٌ شيئًا من أُناس وهم راضون عن تقديم الإحسان لهم، بل ومدينون بفعل ذلك، أم أنْ يأخذَ بالإجبارِ والإزعاجِ من أُناس لا يرغبون في أن يَعطوا ؟. هذا هو ما يصنعه الأغنياء. أي أنَّ الفقراء يأخذون من أُناس لديهم رغبة في أنْ يُقَدِّموا، ويحتاجون لفعلِ الإحسان، بينما الأغنياء يأخذون من أُناس لا يرغبون في العطاء ويُحجِمون عن العطاء، الأمر الذي يُعَدُّ دليلًا على الفقرِ الشَّديدِ، ومادام المرء لا يُلَبِّي دعوة لتناول الإفطار، طالما أنَّ الدَّاعي لا يشعر بألفَةٍ تُجاهَهُ، فكيفَ يكون من اللائق أن يأخذ أحدٌ مالًا بالإكراه؟ ولأجلِ هذا السبب تحديدًا، لا نعرض عن الكلاب ولا نتجنَّب الذي ينبحون، بسبب إصرارهم على البقاء إلى جوارنا، ألا تَرى أنَّهم هكذا يضغطون علينا ويستغلُّوننا، وهذا ما يفعله الأغنياء.

لكنَّ التقدمة التي ترافقها المخافة، هي الأكثر لياقة ووقارًا، لكن ما يحدث هو **أكثر بذاءةً** من كُلِّ شيء، لأنَّ ذاك الذي يفعل كُلَّ ما في وِسعِهِ، لكي يأخذ شيئًا، ألَا يكون هو الأكثر سُخرية من الجميع؟ لأنَّه في مرَّاتٍ كثيرة بسبب الخوفِ من الكلاب، نترك ما نحمله معنا. أخبرني أيضًا: ما هو الأمر الأكثر بذاءةً، أن يَسعَى أحدٌ ليأخذ من شخصٍ يرتدي خرقة مهلهلة، أم من شخص يرتدي ملابِسَ حريريَّة؟ فعندما ينشغل شخصٌ غنيّ ويعتني بِفُقراء متقدِّمين في السِّنِ، لكي يأخذ ثروتهم، على الرغمِ من أنَّ لديهم أولادًا، فهل تعتقد أنَّه مُستحق لأيِّ صَفحٍ؟ وإنْ أردتم، فلنفحص الكلام الذي ينطق به الأغنياء حين يتَسَوَّلون، وهو ذات الكلام الذي يتكلَّم به الفقراء.

ماذا يقول الفقير؟ يقول إنَّ مَنْ يُقدم عمل رحمة فلن **يُحرَم** أبدًا من تلك الخيرات التي يمنحها الله، لأنَّ الله مُحبٌّ للبَشَر، وأنَّه سيُعوِّضه أكثر، وهذا ما يُعَدُّ كلام حكمة ونصائح وإرشاد، لأنَّهُ يُساعدك في أن تتطلَّع نحو الله، وينزع عنكَ الخوف من الفَقرِ الذي قد يحلُّ مُستَقبَلًا. وبناءً على ذلك فيمكن للمرءِ أن يَرى تعاليم كثيرة في كلام الفقراء. لكن ما هي صفات كلام الأغنياء؟ هو كلام **خنازير وكلاب وذئاب ووحوش أُخرى**. أي البعض منهم، يتنافَسون في الأمور الخاصَّةِ بالموائد والأطعمةِ والنكهات الخاصة بهذه الأطعمة، وكل أنواع النبيذ

والعطور والأقمشة وطُرق الإسرافِ والتبذير. البعض الآخر يتناقشون فيما يخصُّ الأرباح والقروض ويبتدِعُون طرح مناهج للحسابات ويشيرون إلى دينٍ ضخم لا يُحتَمل، يكون قد ورثه البعض عن آبائهم أو أجدادهم، وهكذا يغتصبون بيت الواحد وحقل الآخر، ويمتلكون عبد شخصٍ آخر، **وَيَسْتَوْلُون** على كُلِّ ممتلكاته.

وماذا لو ذكر المرء تلك العقود التي كُتِبَت بالدَّم؟ تلك التي ضَمَّنوها مخاطر يمكن أن تحدث لأصحابِ الممتلكات، وهي مخاطر لا تُحتَمَل؛ فعندما يرون أنَّ لديهم ثروات حتى ولو كانت ضئيلة، يَسعَوْن لأخذِها، بعدما يكونون قد جذبوهم بوعود هزيلة للغاية. وعادةً ما يُقنعوهم بألَّا يُبالوا بأقربائهم الذين كثيرًا ما يُعانون من الفَقرِ، وبدَلًا منهم، يرثونَ هُم هذه الثروات، إذًا هل هناك ما هو أكثر وحشيَّة من هؤلاء البَشَر! وأيَّةَ قَسوةٍ يَخفُون!

ولأجلِ هذا، أرجو أن **تتجَنَّبوا** جميع أنواع هذا الغِنَى القبيح المملوء بالقتل، ولنكتسب الغِنَى الرُّوحي، ولنطلب الكنوز السماويَّة، لأنَّ أولئك الذين اكتسبوا هذا الغِنَى الرُّوحي، هؤلاء هُمُ الأغنياء حقًّا، وهم المتيسِّرون الذين يتمتَّعون بكُلِّ خيراتِ **الحياةِ الأرضيَّة، والحياةِ الأبديَّة**؛ أي أنَّ مَن يُريد أنْ يكونَ فقيرًا بحسب ما تُشيرُ **كلمة الله**، سيجد كُل البيوت مفتوحة أمامه، لأنَّ الذي يفتقر **لأجلِ الله**، سيجعل كُلَّ فردٍ قادرًا على أنْ يُقَدِّمَ له ما يمتلك. أمَّا مَنْ يُريد أنْ **يظلم** غيرَهُ ويأخذ ما ليس من حَقِّهِ – حتى ولو قليلًا – عادةً ما تُغلَق أبواب الجميع في وجهِهِ.

إذًا لكي نربح الخيرات الأرضِيَّة والسماوِيَّة، فلنسعَ نحو الغِنَى الثابت والدَّائم، نحو الرَّخاء الأبدي؛ هذا الرَّخاء الذي ليتنا جميعًا ننالُهُ بالنعمةِ ومحبَّة البَشَر اللتين **لربنا يسوع المسيح** الذي يليقُ به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقوَّة والكرامة الآن وكلَّ أوانٍ وإلى دهر الدهور. آمين.

(يتبع في العدد القادم)

صبيَّة فاضلة، مليئة بالأمل والرَّجاء، دائمًا تَكِنُّ العطف والاحترام للآخرين، ذات يوم عندما نزلت من شَقَّتِهَا، وهي في طريقها إلى محلِّ البقالة لشراء الجبن والحليب والبيض، صادفت في منتصفِ الطريقِ شخصًا غريبًا في الشارع، فابتسمت له، إذ بدا لها أنَّهُ حزينٌ. هذه الابتسامة المليئة بالتقدير جعلت هذا الشخص يشعر بالفرح والسعادة، عندها تذكَّر هذا الشخص بطيبة قلبه، صديقًا عزيزًا تلاقى معه منذُ زمنٍ بعيد؛ وعندما وصل إلى منزله كتب له للتوِّ رسالة مليئة بالذكريات، مقرونة بالشُّكر والتقدير والعرفان .

كان الصديق سعيدًا جدًّا برسالة الشُّكر هذه التي قرأها وهو يتناول طعام الغداء، حتى أنَّه ترك بقشيشًا (مبلغًا كبيرًا) في نهاية الوجبة التي تناولها في المطعم، وكانت النادلة متفاجئة لدرجةٍ كبيرة من هذا العطاء (البقشيش)، وسعيدة به. **فأعطت وبفرحٍ غامرٍ جزءًا منه مباشرةً، لمُتَسَوِّلٍ كان يستعطي في الشارع**، قرب المطعم.

كان هذا الرجل المستعطي في الشارع، فقيرًا جدًّا لا بل مُدقعًا، ثيابه قذرة، وبحالةٍ يُرثى لها، فامتلأ قلبه فرحًا لهذا العطاء، وشَكَرَ النادلة بامتنانٍ جزيل. علمًا أنَّه لم يأكل أي شيء قرابة يومين، وكان يلتحف بالبرد وتصاحبة الوحدة المُمِلَّة. وبعد أنِ اشترى وجبة طعام، من المال الذي وهبته إيَّاهُ النادلة، أسرعَ بالعودةِ إلى منزله وإلى غرفته المظلمة والقذرة. ولم يعلم في تلك اللحظة، ما يُخبِّئه له المستقبل من حياةٍ أو موت، فربما تكون هذه آخر ليلة في حياته، وألَّا يعاين إشراق يومٍ جديدٍ. وفي طريقه إلى المنزل، صادَفَ جَرْوًا **يرتجف ويرتعد، من شدَّة البرد، وهطول المطر بغزارة**. فاصطحبه معه إلى غرفته، بِرِفقٍ وحُنُوٍّ، لأنَّ قلبه كان مُفعمًا بالحبِّ، يتذكر عطاء النادلة السَّخيِّ.

وللحالِ أوقَد المتسوِّل النار، فكان الجَرْوُ سعيدًا جدًّا لوجوده في مكانٍ دافئٍ وهادئٍ، فالطقس في الخارج، كما ذكرنا مطرٌ وباردٌ. في تلك الليلة، وبينما المستعطي غارقٌ بالنومِ، اندلع حريق في الغرفة وهدَّدَ بإحراق المبنى بأكمله. استيقظ الكلب من الضجة ومن رائحة الدخان المتصاعد، فنبح بصوت عالٍ تحذيرًا وإنذارًا. نبح الكلبُ حتى أيقظ سكان المبنى بأكمله، وبذلك أنقذ الجميع من أيِّ ضررٍ. وكان مِمَّن يسكن هذا المبنى، **تلك الفتاة المجهولة**، التي نظرت إلى الغريب بابتسامة الدفء والاحترام والتعاطف. هذه الابتسامة التي لم تُكلِّفها شيئًا.

وهكذا يدور العالم ويتحرَّك، فما تُرسله سيعود إليك في نهاية المَطَاف، لأنَّنا جميعًا مترابطون معًا، وكلُّنا ندور في حَيِّزٍ واحدٍ.

فإنْ كنتَ تبحث عن الحُبّ، يجب أن تكون شخصًا محبًّا بامتياز. وإذا كنت تريد أنْ تعيشَ حياتك بسلام، يجب أنْ تكون شخصًا هادئًا ومسالمًا تَبُثُّ روح المحبَّة والعطاء باستمرار. «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٦).

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

المحرِّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122